قبسات مشرقة
في وصايا مؤمن آل فرعون

كما وردت في سورة غافر

حوار وتربية ودعوة

إعداد الدكتور الباحث

أبو بكر علي الصديق

أستاذ في التفسير وعلوم القرآن

بكلية التربية و العلوم الأساسية

جامعة عجمان للعلوم و التكنولوجيا

بدولة الإمارات العربية المتحدة

من ٢٥٥ إلى ٣٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي نزل شريعته لصلاح العباد ، ووفق عباده إلى سبل الرشاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الخلق وصفوة الحق، وصاحب اللواء والسنة الغراء ، ورضي الله تعالى عن صحابته الطيبين وآل بيته الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فإن كِتَاب اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلنا وَخَبَرُ مَا بَعْدنا، وَحُكْمُ مَا بَيْننا، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدق، وَمَنْ عمل بِهِ أُجِرَ، ومن حَكم بِهِ عدل، وَمَنْ دَعَا إلَيْه هُدي إِلى صِراط مستقيمٍ . (١)

وبين أيدينا آيات بينات نظمت كأنها الدر المكنون، فيها كل ما تقدم من الأوصاف الكاملة للقرآن الكريم، صحيح أن هذه الأوصاف موجودة في كل آية ولكن قد لا تظهر إلا للغواصين في معاني القرآن الكريم، أما هذه الآيات التي بين أيدينا فهي دستور دولة، وقانون دعوة، ونظام جهاد ، وأسلوب حياة، وموعظة الدنيا والآخرة، وكل هذا ظاهر لكل ذي عقل وكل قاريء بصير، من خلال حوار دعوي تربوي، وسوف نرى بأعيننا كيف رتب لنا ربنا هذه المعاني واضحة جلية، وكيف رتب لنا المقدمات وما ينبني عليها من نتائج، وماذا كان مصير الطائعين وعاقبة المعاندين .

أهمية الموضوع

تأتي أهمية الموضوع من أهمية الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فما من قصة ذكرها الله إلا استوفى فيها عظمة الأسلوب وروعة

(١) هذا اقتباس من حديث أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٥) رقم ٣٠٠٠٧ وأحمد ٣٨٤٥ والترمذي ٢٩٠٦ وقال غريب. والدارمي (٤/ ٢٠٩٨) رقم ٣٣٧٤ والحاكم في المستدرك ٢٠٤٠ وقَالَ صَحِيح الْإِسْنَاد وَلم يخرجَاهُ وخالفه الذهبي .

الأداء، واستوعب فيها البنية الأساسية وبث فيها الحكم والمواعظ ، وحشد فيها الأدلة والبراهين على أي قضية مهما كانت تلك القضية، فليس في القرآن قضية غير هامة، حيث القضايا كلها مترابطة ترابطا موضوعيا وبلاغيا من سورة الفاتحة إلى سورة الناس،(١) وهذا الترابط هو الذي يأخذ ألباب الحكماء وعقول البلغاء ، حتى اضطر أحد معانديه للاستسلام بقوله : إن له لحلاوة وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ .(٢)

سبب اختيار الموضوع

منذ زمن طويل جدا تستوقفني هذه القصة كلما قرأتها، خاصة عندما أتذكر النقاش والجدال بيننا نحن طلبة الأزهر وبين مناوئينا من طلاب الدنيا والمفتونين بعلوم الغرب فأستمد منها قوة الحوار وثبات الدعاة، فأشعر بعزة وفخر لا ينهزمان، وأرى نفسي ثابتا ثبات الرواسي تنهزم أمامي الأفكار الهدامة، وتتلاشى في عيني ترهات الملحدين، وتتخايل أمامي أصنامهم وهي تتحطم وتنهار ، ونظرياتهم تتمزق وتتطاير .

إزاء كل هذا تزاحمت عندي الأفكار أن أكتب في هذه القصة وأعيد قراءتها من جديد وأتدبرها على ضوء ما استجد من أحداث، لعلنا نستطيع أن نخرج منها بدروس جديدة وعبر مفيدة، يرددها الأجيال على مدى القرون القادمة .

خطة البحث

أرى لزاما علي أن أقدم خطة تستوعب كل ما تقدم الإشارة إليه، وتحدد فصوله ومباحثه، وتبين كل ما تتضمنه هذه الآيات من معالم وتشتمل عليه من معان، ولذا سوف تكون الخطة مقسمة إلى تمهيد وفصلين:

---

(١) ينظر في ذلك كتاب البرهان في تناسب سور القرآن للشيخ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي. وكتاب نظم الدرر، في تناسب الآي والسور للبقاعي . وكتاب تناسق الدرر، في تناسب السور للسيوطي.

(٢) هو اقتباس من حديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٨٧٢ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، من كلام الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وقال: حديث صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وأقره الذهبي .

التمهيد : وفيه عرض للآيات التي تقص علينا قصة مؤمن آل فرعون مع تفسير المفسرين.

الفصل الأول: الحوار التربوي . وفيه مباحث

المبحث الأول: التربية في الخطاب

المبحث الثاني: التربية في كيفية بناء الدولة

المبحث الثالث: التربية في تعليم أسس الجهاد الذي تقوم عليه الدولة

الفصل الثاني : الحوار الدعوي . وفيه مباحث

المبحث الأول: بيان أسس الدعوة في هذه القصة

المبحث الثاني: بيان أسلوب الدعوة في هذه القصة

المبحث الثالث: بيان أسلوب الموعظة في هذه القصة

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات .

الفهارس

منهجي في الموضوع :

لم أتبع منهجا معقدا بل منهجي في العمل سهل سلس أعرض فيه آيات من الذكر الحكيم وأتبع ذلك بأقوال المفسرين مع التوثيق من كتبهم، وانهج نهج المتقدمين منهم، وأقدم تفسير من يورد حديثا أو أثرا وهو أولى من الرأي ما لم يكن شديد الضعف، أو من الدخيل والإسرائيليات التي نبه عليها علماؤنا من السلف الصالح .

فإذا أوردوا حديثا خرجته من الكتب المعتمدة على سبيل الاختصار، فإن هذا بحث لا يحتمل التطويل، وبعد ذلك أقوم بالتحليل على حسب تلك الأحاديث والآثار وأقوال السلف والمفسرين القدامى الذين لم تختلط آراؤهم بالحداثة المزيفة وتحميل كتاب الله تعالى ما لا يحتمله .

وحتى في العرض والتحليل الموضوعي لهذه القصة سوف ألتزم بالسنة الصحيحة ما وجدت لذلك سبيلا ، فإن لم أجد فعلى هدي الكتاب الذي فصل كل شيء والسنة التي بينت وأوضحت ووجهت ووضعت الثوابت حتى لا تزل بنا الأقدام.

وسوف نرى بإذن الله عرضا جميلا يقدم الفكرة ويدعمها من الأصلين كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ بعيدا عن الشطط والشطحات .

والله الموفق وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ومنه نستمد العون ونرجو منه السداد .

التمهيد

وفيه عرض للآيات في سورة غافر

التي تقص علينا قصة مؤمن آل فرعون

مع تفسير المفسرين

ذكر الله قصة سيدنا موسى عليه السلام في القرآن كثيرا، ففي سورة البقرة ذكره مع بني إسرائيل وصعوده الجبل ثم عبادتهم العجل، ثم العفو عنهم وإنزاله عليهم المن والسلوى، ثم سؤالهم رؤية الله جهرة، ثم سؤالهم العدس والبصل، ثم قصة البقرة، ثم ضربه بعصاه الحجر، ثم دخولهم الأرض المقدسة في سورة المائدة، ثم ذكر إرساله بصيغة أخرى في سورة الأعراف وتحول العصا إلى ثعبان، وتحديه سحرة فرعون، وعقابهم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وذكر كذلك اختيار سبعين رجلا، ثم كرر جانبا منها في سورة يونس وذكر قصة إسكانهم مصر، ثم كررها باختصار في سورة هود ، ومثل ذلك في سورة إبراهيم، وفي سورة الإسراء ذكر الآيات التسع، وفي سورة الكهف ذكر قصته مع الخضر عليه السلام، وذكر قصته باختصار في سورة مريم والمؤمنون والفرقان والنمل والنازعات، وفصل قصته في سورة طه والشعراء بأسلوب آخر، وفصلها بأسلوب آخر في سورة القصص وذكر فيها قتله النفس وخروجه إلى مدين ثم عودته رسولا مع أخيه هارون عليهما السلام، وزاد فيها قصة قارون، وفي سورة التحريم ذكر قصة زوجة فرعون،(١) وذكرت السنة قصة الماشطة (٢) وفي سورة غافر ذكر قصة مؤمن آل فرعون، بل إنها

---

(١) وذلك في قوله تعالى﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١]

(٢) حديث الماشطة أخرجه أحمد ٢٨٢١ أن النبي ﷺ قال " لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا ". قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَتِ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ. قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ قَالَتْ: نَعَمْ.

سميت بسورة (مؤمن) في كثير من نسخ المصحف، وعند كثير من كبار المفسرين (١) وهي القصة التي نريد التعليق عليها وتناولها بالتحليل . قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلَالٍ (٢٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ

فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَاهَا، فَقَالَ: يَا فُلانَةُ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً. قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَتَدْفِنَنَا. قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنَ الحَقِّ " قَالَ " فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، إِلَى أَنِ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، كَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ " قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَابْنُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ " وأخرجه أيضا الطبراني ١٢٢٨٠وابن حبان ٢٩٠٣ وبنجوه الدارمي٧٣ في الرد على الجهمية وابن ماجه ٤٠٣٠ والبزار = البحر الزخار ٥٠٦٧

(١) وقد سميت حم المؤمن غافر كما في تفسير مجاهد (ص: ٥٨٢) وتفسير عبد الرزاق (٣/ ١٣٩) وتفسير الطبري (٢١/ ٤٢٤)

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاّ فِي تَبَابٍ (٣٧) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (٤٦) [غافر: ٢٣ – ٤٦]

هذه هي الآيات التي تقص علينا قصة مؤمن آل فرعون، وقد قال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ الآيات: يعني التسع التي أشار إليها بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١] (١) وذكرها أيضا في سورة النمل: ١٠ – ١٢ .

(١) تفسير مقاتل ٣/ ٧١٠ تفسير الطبري ٢٠/ ٣٠٦ تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣/ ٢٠٢

وقد عددها ربنا بقوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٣ – ١٣٥]

وعدها هنا خمسا مع سبق العصا واليد، وقد وردت في السنة مفصلة، وهي كما قال ابن عباس: يَدُهُ وَعَصَاهُ وَلِسَانُهُ وَالْبَحْرُ وَالطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمُ آيَاتٌ مُفَصَّلاتٌ. (١)

وروى بعضهم الطمسة بدل لسانه فعن ابن شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ قال: دخلت عَلَى عمرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ شِهَابٍ أَخْبِرْنِي عَنْ قول الله عَز وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] ؟ مَا هُنَّ؟ قَالَ: قُلْتُ: الطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمُ وَيَدُهُ وَالْبَحْرُ وَالطَّمْسَةُ وَعَصَاهُ. فَقَالَ عمرُ بْنُ عبدِ الْعَزِيزِ: هكذا يكونُ الْعلمُ يَا ابنَ شِهَابٍ! قَالَ: ثم قَالَ لِغُلَامٍ: ائْتِنِي بِالْخَرِيطَةِ. فَأَتَى بِخَرِيطَةٍ مَخْتُومَةٍ فَفَكَّهَا، ثُمَّ نَثَرَ مَا فِيهَا؛ فَإِذَا فِيهَا دَرَاهِمُ وَدَنَانِيرُ وَتَمْرٌ وَجَوْزٌ وَعَدَسٌ وَفُولٌ، فَقَالَ: كُلْ يَا ابْنَ شِهَابٍ! فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ حِجَارَةٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: هَذَا مِمَّا أَصَابَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ فِي مصر إذ كَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا، وَهُوَ مِمَّا طَمَسَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. (٢)

والطمسة هي المشار إليها بقوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٦١٦٣وعند البخاري في التفسير معلقا قبل الرقم ٤٦٣٦ والنسائي في السنن الكبرى ١١٢٦٣ ومسند أبي يعلى الموصلي ٢٦١٨

(٢)تفسير الطبري (١٧/ ٥٦٥) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٥٢) شعب الإيمان (١/ ٢٨٣) ١٣٢ المجالسة وجواهر العلم ٥٠٤

وبعضهم عدها إحدى عَشْرَةَ، اثْنَتَانِ مِنْهَا الْيَدُ وَالْعَصَا، وَالتُّسْعُ: الْفَلْقُ (فلق الحجر) وَالطُّوفَانُ وَالْجَرَادُ وَالْقَمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمُ وَالطَّمْسَةُ وَالْجَدْبُ فِي بَوَادِيهِمْ وَالنُّقْصَانُ فِي مَزَارِعِهِمْ. (١)

وعلى هذا تكونُ (في تسع آيات) بمعنى (مع تسع آيات) أوفي جملتها أو معها وتكون التسع هي: الفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجدب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم. وقالوا لأن الله تعالى ذكر السنين والنقص منفردين في قوله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] ومن عد العصا واليد من التسع يعد الأخيرين واحداً ولا يعد الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون. (٢)

وقالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ﴾ وهو المطر الدائم من السبت إلى السبت حتى خرّبت بنيانهم وانقطعت السبل وكادت أن تصير مصر بحراً واحداً، فخافوا الغرق، فاستغاثوا بموسى، فأرسلوا إليه: اكشف عنا العذاب نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فكشف عنهم المطر، وأرسل الله عليهم الريح فجففت الأرض فخرج من النبات شيء لم يروا مثله بمصر قط. قالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا ولكنا لم نشعر به فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فنقضوا العهد، وعصوا ربهم، فمكثوا شهراً، فدعا عليهم موسى فأرسل الله تعالى عليهم الجراد مثل الليل، فكانوا لا يرون الأرض ولا السماء من كثرتها، فأكل كل شيء أنبتته الأرض. فاستغاثوا بموسى ﴿وَقالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩] يعني: يا أيها العالم سل لنا ربك ليكشف عنا العذاب ونؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه، فأرسل الله تعالى ريحاً فاحتملت الجراد وألقته في البحر فلم يبق في أرض مصر جرادة واحدة. فقال لهم فرعون: انظروا هل بقي شيء؟ فنظروا فإذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٤٦) البحر المحيط (٨/ ٢١٥)

(٢) الدر المصون (٨/ ٥٧٩) تفسير القرطبي (١٧/ ١٤٥) تفسير البيضاوي (٤/ ١٥٦)

هو قد بقي لهم بقية من كلئهم وزرعهم ما يكفيهم عامهم ذلك. قالوا: قد بقي لنا ما فيه بُلغتنا هذه السنة. فقالوا: يا موسى لا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل، فمكثوا شهراً، ثم دعا عليهم فأرسل الله تعالى عليهم القُمَّل. قال قتادة: القمل أولاد الجرادة التي لا تطير وهكذا قال السدي. وذكر عن أبي عبيدة أنه قال: القمل عند العرب الحمنان وهو ضرب من القردان، فلم يبق من الأرض عود أخضر إلا أكلته. فأتاهم منه مثل السيل على وجه الأرض، فأكل كل شيء في أرض مصر من نبات الأرض أو ثمر فصاحوا إلى موسى، واستغاثوا به، وقالوا: ادع لنا ربك هذه المرة يكشف عنا العذاب ونحن نطيعك ونعطيك عهداً وموثقاً لنؤمنن بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأرسل الله تعالى ريحاً حارة فأحرقته فلم يبق منه شيء، وحملته الريح فألقته في البحر، فقال لهم موسى: أرسلوا معي بني إسرائيل؟ فقالوا له: قد ذهبت الأنزال كلها فأيش تفعل بعد هذا؟ فعلى أي شيء نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل؟ اذهب فما استطعت أن تضر بنا فافعل. فمكثوا شهراً فدعا الله تعالى عليهم موسى، فأرسل الله تعالى عليهم آية وهي الضفادع، فخرجوا من البحر، مثل الليل الدامس، فغشوا أهل مصر، ودخلوا البيوت، ووقفوا على ثيابهم وسررهم وفرشهم، وكان الرجل منهم يستيقظ بالليل فيجد فراشه وقد امتلأ من الضفادع، فكان الرجل يكلم صاحبه في الطريق يجعل فمه في أذنه ليسمع كلامه من كثرة نعيق الضفادع. فضاق الأمر عليهم فصاحوا إلى موسى فقالوا يا موسى: لئن رفعت عنا هذه الضفادع لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا لهم موسى ربه فأذهب الله تعالى عنهم الضفادع. فقال لهم موسى: أرسلوا معي بني إسرائيل فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل. فمكثوا شهراً، فدعا عليهم، فأرسل الله تعالى عليهم الدم، فجرت أنهارهم دماء، فلم يكونوا يقدرون على الماء العذب ولا غيره، وبنو إسرائيل في الماء العذب. وكلما دخل رجل من آل فرعون ليستقي من أنهار بني إسرائيل صار الماء دماً من بين يديه ومن خلفه. فركب فرعون وأشراف أصحابه حتى أتوا أنهار بني إسرائيل فإذا هي عذبة صافية. فجعل فرعون يدخل الرجل منهم، فإذا دخل واغترف صار الماء في يده دماً. فمكثوا

كذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فمات كثير منهم في ذلك. فاستغاثوا بموسى فقال فرعون: اقسم بإلهك يا موسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنّ بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل. فدعا موسى ربه فأذهب الله تعالى عنهم الدم، وعذب ماؤهم وصفا. فعادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى:﴿ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَالجَرادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ ﴾ يعني: متتابعات.

وقال الحسن وسعيد بن جبير وغيرهما: كانوا يعانون بين كل آيتين شهراً فإذا جاءت الآية قامت عليهم سبعاً من السبت إلى السبت. (١)

وعَنْ نَوْفٍ الشَّامِيّ، قَالَ: مَكَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آلِ فرعَوْنَ بعدما غلب السَّحرة أربعين عامًا، وَقَالَ مِنْجَاب: عِشْرِينَ سَنَةً يُرِيَهِمُ الْآيَاتِ الْجَرَادَ وَالْقَمْلَ وَالضَّفَادِعَ(٢)

وقوله تعالى ﴿وَسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾: يعني وحجة بينة . والسُّلْطانُ إنَّما سُمِّيَ سُلْطَاناً لأنه حُجةٌ اللَّه في أرْضِه. واشتقاق السلطان مِنَ السليط، والسليط ما يُضَاءُ بِهِ، ومن هذا قيلَ للزيْت سَليط. (٣)

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ خص الله تعالى هامانَ وَقارونَ بالذكر تنبيها على مكانهما من الكفر، ولكونهما أشهر رجال فرعون، وقيل إن قارون هذا ليس بقارون بني إسرائيل، وقيل هو ذلك، ولكنه كان منقطعا إلى فرعون خادما مستعينا معه.

﴿ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى.

(كَذَّابٌ): يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا. (٤)

وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٢٥)} [غافر: ٢٥]

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ٥٤٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٤/ ٥٤٣)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٥٠)

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٧٦)

(٤) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٤)

قَال قَتادةُ: هذا غَيْرُ الْقَتلِ الْأَوَّلِ لِأَن فرعونَ كَانَ قَد أَمسك عَنْ قَتلِ الْولدانِ، فلَمّا بُعِثَ موسى عليهِ السّلام أَعَادَ الْقَتْلَ عَلَيْهِمْ، فَمَعْنَاهُ أَعيدوا عليهِم الْقَتلَ وَاسْتَحْيُوا نِساءَهمْ، لِيَصُدُّوهُمْ بِذلك عن مُتابَعةِ موسى وَمُظَاهَرَتِهِ، ولكن هذا القتل الأخير لم تتم فيه عزمة، ولا أعانهم الله تعالى على شيء منه. ولا على قتل السحرة ولا صلبهم (١)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ عبارة وجيزة تعطي قوتها أن هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أحد من بني إسرائيل ولا نجحت لهم فيه سعاية، بل أضل الله سعيهم وكيدهم. (٢)

وقوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ غافر ٢٦.

الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرته آيات موسى عليه السلام انهد ركنه واضطربت معتقدات أصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره، وذلك بيّن من غير ما موضع من قصتهما، في هذه الآية على ذلك دليلان، أحدهما قوله: ذَرُونِي فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم. والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأن مكاشفته لفرعون أكثر من مسايرته، وحكمه بنبوة موسى أظهر من توريته في أمره. وأما فرعون فإنما لجأ إلى المخرقة والاضطراب والتعاطي والمداولة.

وأما قوله ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ﴾ أي إني لا أبالي عن رب موسى، ثم رجع إلى قومه يريهم النصيحة والحماية لهم فقال: إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ. والدين السلطان، وقيل: إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ يعني: عبادتكم إياي. أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ يعني: الدعاء إلى غير عبادتي. (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢١/ ٣٧٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٢٠٣) تفسير البغوي – إحياء التراث (٤/ ١٠٩)

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٧١١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧١) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٤) تفسير الماتريدي (٩/ ٢٠)

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣٧١) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٠٣) الوسيط للواحدي (٤/ ٨)

وقال بعضهم: وَقالَ فِرْعَوْنُ لِمَلَئِهِ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى، وَإِنَّمَا قَالَ هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ فِي خَاصة قَوْمِ فِرعَون من يمنَعُه مِنْ قَتْلِهِ خَوْفًا مِنَ الهلاكِ، وَلْيَدْعُ رَبَّهُ، أَيْ وَلْيَدْعُ مُوسَى ربه الذي يَزْعُمُ أَنه أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا فَيَمْنَعَهُ منا، إِنِّي أَخاف أَنْ يُبَدِّلَ، أن يُغَيِّرَ دِينَكُمْ الَّذِي أَنتم عليه، أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسادَ،(١)

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] معنى هذا أن تهديد فرعون بلغ موسى وحذر قومه واستجار بالله من كيده .

والمتكبر هنا يشمل كل أنواع التكبر سواء على الإيمان بالله أو الرسل أو الحق أو الاستماع للحق . (٢)

وإنما خص موسى عليه السلام الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا، ولا للعقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا،. (٣)

وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٨)

أصح الأقوال وأولاها بالقبول أن هذا الرجل هو نفسه الذي قال الله تعالى عنه في سورة القصص ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠] واسمه حزقيل وبهذا جاء الأثر وبه قال المفسرون لأنه تربى مع موسى عليه السلام في قصر فرعون، (٤)

---

(١) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٥) تفسير البغوي – إحياء التراث (٤/ ١١٠)

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ٢١)

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٠/ ٦٤٢١)

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٤٩٠) تفسير الطبري (١٩/ ٥٤٧) وقيل :كان اسمه سمعان.وقال بعضهم: بل كان اسمه شمعون. وفي تفسير مقاتل (٣/ ٣٤٠) وَجاءَ رَجُلٌ فجاء حزقيل بن صابوث القبطي– وهو المؤمن– مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ

وآمنت به كذلك زوجة فرعون التي تربى في حجرها وشاهدت الآيات، والتي ذكرها الله تعالى في قوله ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ ﴾ [التحريم: ١١] والماشطة التي جاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة (١)

واختلفوا في هذا المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفا على نفسه.

وقيل: هو ابن عم فرعون. بدليل قوله: (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيليا، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون.

ولكن لو كان إسرائيليا لعاجله بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، ولكنه لما كان من ملأِ قومه استمع قوله، وكفّ عما كان همّ به في موسى. (٢) وعن الْكَلْبِيّ: كَانَ ولي عهد فرعون (٣)

وقوله: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ واضح أنه همَّ أن يقتله؛ ألا ترى أن ذلك الرجل المؤمن الذي كان يكتم إيمانه قال لهم: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) لم يبال هلاك نفسه بإظهاره الإيمان بعد أن أعان به اللَّه موسى، ونفع له بما قال، واستقبل

وورد ذكره في السنة ولفظه: "الصديقون ثلاثة حبيب النجار من آل ياسين وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى بن أبي طالب وهو أفضلهم " فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (٢/ ٦٢٧) رقم ١٠٧٢ و ١١١٧ وفوائد تمام (٢/ ٢٢٧) رقم ١٥٩١ مناقب علي لابن المغازلي (ص: ٣١٣) رقم ٢٩٣ و٢٩٤ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (١/ ١٨٢) ٦٨١ لكن ضعفوا هذا الحديث وقالوا هو منا قض لما صح من أن سيدنا عليا رضي الله عنه وصف أبا بكر بأنه أفضل من مؤمن آل فرعون كما في مسند البزار = البحر الزخار (٣/ ١٤) رقم ٧٦١ – وفضائل الخلفاء لأبي نعيم (ص: ١٨١) رقم ٢٣٧ وقيل بورود الروايتين أي ذكر أبي بكر مكان علي رضي الله عنهما كما في روح البيان (٨/ ١٧٦)

(١) حديث الماشطة تقدم في ص ٤

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٧)

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ١٦)

فرعون وقومه بما استقبل. (١) ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك.

وقوله: ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ أي: وإن يك موسى كاذبا في قيله: إن الله أرسله إليك يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ يقول: وإن يك صادقا في قوله ذلك أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطا .

وقيل: هذا على التسليم والمظاهرة في المحاججة كأنه قال لهم: أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وفي بعض ذلك هلاككم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ يقول: إن الله لا يوفّق للحقّ من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله، كذّاب عليه، ويقول عليه الباطل وغير الحقّ.

ومعنى الإسراف يقصد به كل ما يمكن أن يتناوله الإسراف في الكذب والشرك والضلال والافتراء . (٢)

وقال آخرون: عنى به من هو قتّال سفّاك للدماء بغير حق.

والإسراف في الأصل: مجاوزة الحد في العصيان. (٣)

قوله تعالى ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ غافر (٢٩) .

يقول مؤمن آل فرعون هذا على سبيل الرفق بهم وإظهار الموافقة لهم في الظاهر؛ يقول: إنه قد جاءنا من اللَّه البينات ما أوضح الحق وبين السبيل، فإذا رددنا ذلك وكذبناهم جاءنا بأس اللَّه جملة وعذابه، فمن يمنعنا عنه وينصرنا من عذابه إذا خالفنا أمره وتركنا

---

(١) تفسير الماتريدي (٨/ ٢٠١)

(٢)تفسير الطبري (٢٠/ ٣١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧١) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٠) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٢)

(٣) تفسير ابن فورك (٢/ ٣٥٤)

اتباع دينه؟ وهو تذكير لهم ووعظ لهم من جهة شهواتهم وتحذير من زوال ترفهم ونصيحة لهم في أمر دنياهم.

وقوله: فِي الْأَرْضِ يريد في أرض مصر وما والاها من مملكتهم في شمال أفريقيا وجنوبها. ثم قررهم على من هو الناصر لهم من بأس الله، وهذه الأقوال تقتضي زوال هيبة فرعون، ولذلك استكان هو ورجع يقول: ما أُرِيكُمْ إِلَّا ما أَرى كما يقول من لا تحكم له.

﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ أي: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا، وعقوبته إن جاءتنا.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ يقول: قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما أريكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد. (١)

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ ٣٠ غافر

يعني مثل أيام عذاب الأمم الخالية الذين كذبوا رسلهم وتحزبوا ضدهم، مِثْلَ دَأْبِ يعني مثل أشباه قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ . فيعذب على غير ذنب، ثم حذرهم المؤمن عذاب الآخرة .

﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ ٣٠-٣١ غافر .

مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرّئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم.

أي أخاف عليكم إذا أقمتم على كُفْرِكمُ فينزل بكم ما نزل بالأمَم السالِفَةِ المكذبَةِ رُسُلَهم.

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٨) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٧) تفسير الماتريدي (٩/ ٢٤) تفسير الرازي (٢٧/ ٥١١) تفسير البغوي (٤/ ١١١)

وقوله: وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ أي لا يقع الظلم من نفسه فلا يظلمهم هو عز وجل، فالإرادة هنا على بابها، لأن الظلم منه لا يقع ألبتة، وليس معنى الآية أن الله لا يريد ظلم بعض العباد لبعض، والدليل وقوعه، ومحال أن يقع ما لا يريده الله تعالى. (١)

وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٣٢)

وقوله: يَوْمَ التَّنادِ معناه يوم ينادي بعض الكافرين بعضا ويناديهم الآخرون. سواء نداء أهل الجنة أهل النار ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [الأعراف: ٤٤] أو نداء أهل النار لهم:﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ ﴾ [الأعراف: ٥٠] . أو هو النداء الذي يتضمنه قوله تعالى:﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] . وروي عن ابن عباس وغيره: هو التنادي الذي يكون بين الناس عند النفخ في الصور نفخة الفزع في الدنيا وأنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضا، كقوله تعالى: ﴿بتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [طه: ١٠٣] وروي هذا التأويل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. (٢)

أو المراد بكل نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة، (٣) أو كالنداء الذي ييأس منه الكفرة «يا أهل النار خلود بلا موت» ويتغيظون من نداء «يا أهل الجنة خلود بلا موت» (٤) ومنها نداء أهل الغدرات (١) ونداء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٢) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٨) تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٣)

(٢) شعب الإيمان (١/ ٥٤٦) رقم ٣٥٣

(٣) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٨)

(٤) أخرجه أحمد (١٠/ ١٩٨) رقم ٥٩٩٣ ولفظه: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لَا مَوْتَ، فَازْدَادَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَازْدَادَ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ " وهناد فى الزهد (١/١٥٧ ، رقم ٢١٣) ، وعبد بن حميد (ص ٢٨٦ ، رقم ٩١٤) ، والبخارى (٤/١٧٦٠ ، رقم ٤٤٥٣)

لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠] إلى غير ذلك.

وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٣)

اختصر كثير من المفسرين هذا التولي والإدبار فقال مجاهد: يَعْنِي: فَارِّينَ غَيْرَ مُعْجِزِينَ(٢)

وقال مقاتل: يعني بعد الحساب إلى النار ذاهبين، ومثله عن عبد الرزاق (٣)

وقال الطبري: يَوْمَ يُوَلُّونَ هارِبِينَ فِي الأرْضِ حذار عَذَابِ اللهِ وَعِقابِهِ عِنْدَ مُعَايَنَتِهم جَهَنَّمَ (٤) وجمع ابن عطية في تفسيره بين القولين (٥)

وهذه أقوال تحتاج إلى دليل، وهذه أمور غيبية لا تقال بالرأي، ولا بد في تفسيرها من شيء يستند عليه من سنة أو أثر ، وهذه قضية هامة من صميم منهجنا عند التفسير .

لا نستطيع أن نرجح تفسيرا على تفسير إلا إذا كان عندنا علم من سنة صحيحة نحكم بها على معاني كتاب ربنا ، فقد نهينا أن نفسر القرآن برأينا، خاصة في الأحكام والعقائد والغيبيات .

، ومسلم (٤/٢١٨٨ ، رقم ٢٨٤٩) ، والترمذى (٥/٣١٥ ، رقم ٣١٥٦) والنسائى فى الكبرى (٦/٣٩٣ ، رقم ١١٣١٦) وابن حبان (١٦/٤٨٥ ، رقم ٧٤٤٩) .

(١) ولفظ الحديث " إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ "،أخرجه عبد بن حميد (ص ٢٤٤ ، رقم ٧٥٤) وأحمد (٢/٢٩ ، رقم ٤٨٣٩.والبخارى (٥/٢٢٨٥ ، رقم ٥٨٢٣) ومسلم (٣/١٣٥٩ رقم ١٧٣٥) وأبو داود (٣/٨٢ رقم ٢٧٥٦) والترمذى (٤/١٤٤ ، رقم ١٥٨١) وابن ماجه (٢/٩٥٩ ، رقم ٢٨٧٢) ، وأبو يعلى (٩/٢٣٤ ، رقم ٥٣٤٢) وابن حبان (١٦/٣٣٧ ، رقم ٧٣٤٢) .

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٥٨٣)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٢) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٤٤)

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢١/ ٣٨٢)

(٥) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٨)

فالرجوع في هذا إلى المفسرين بالأثر، وقد رووا لنا حديثا بسند صحيح أن ذلك التولي والإدبار في المحشر من هول الفزع .

فلا يعدل عن هذا التفسير وهو حديث طويل جدا (١)

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (٣٤غافر)

قال المفسرون : ذكر مؤمنُ آل فرعون يوسفَ عليه السلام هنا لعلمهم برسالته (١) خروجا من الجدال لكون الملك آمن به في زمنه، وإن كانوا في شك فالشك أفضل من

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٨٥) رقم ١٠ وابن أبي حاتم في تفسيره (٩/ ٢٩٢٩) رقم ١٦٦٢٧ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/ ٢٤٠) رقم ٢٥٩٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: حدثنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ شَاخِصٌ بَصَرَهُ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ" قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الصُّورُ؟ قَالَ: "الْقَرْنُ" قُلْتُ: وَكَيْفَ هُوَ: قَالَ: "عَظِيمٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ عَظْمَ دَارَةٍ فِيهِ لَكَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ أَنْ يَنْفُخَ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ، الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصُّعُوقِ، وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ فَيَقُولُ لَهُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ فَيَفْزَعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَأْمُرُهُ فَيُدِيمُهَا وَيُطَوِّلُهَا فَلَا يَفْتُرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ فَيُسَيِّرُ اللَّهُ الْجِبَالَ فَتَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، ثُمَّ تَكُونَ تُرَابًا وَتَرْتَجُّ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٧] ، فَتَكُونَ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوثَقَةِ فِي الْبَحْرِ، تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ تُكْفَأُ بِأَهْلِهَا، أَوْ كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْعَرْشِ تُرْجِحُهُ الْأَرْوَاحُ، فَتَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً حَتَّى تَأْتِيَ الْأَقْطَارَ، فَتَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَيَرْجِعُ وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ، يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٢] ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذِ انْصَدَعَتِ الْأَرْضُ فَانْصَدَعَتْ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا فَأَخَذَهُمْ لِذَلِكَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْهَوْلِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، ثُمَّ تَكُونَ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ انْشَقَّتْ مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ، ثُمَّ انْخَسَفَتْ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا وَانْتَثَرَتْ نُجُومُهَا، ثُمَّ كُشِطَتِ السَّمَاءُ عَنْهُمْ" إلى آخر الحديث والحديث طويل جدا .

التكذيب، ولم يكن رآه المؤمن قط، وهم لم يروه ولكن نزل العلم مقام الرؤية، وخاطبهم ب(جاءكم) كما خاطب القرآن بني إسرائيل بذنوب آبائهم لأنهم يشاركونهم في العقيدة تلك .

﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ﴾ أي: قبل موسى. وقوله: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحقّ ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحقّ وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شاكّ فى حقيقة أخبار رسله. أو هو يحذرهم عن مثل صنيع أُولَئِكَ من التكذيب لهم والرد لأدلتهم، يقول: إياكم أن تكذبوه وتردوا آياته وحججه، ثم تقولوا إذا مات موسى: لن يبعث اللَّه من بعده رسولا، كما قال أوائلكم: إذا مات يوسف: لم يكن من بعده رسول . (٢)

وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥)

أي: يجادلون في دفع آيات اللَّه وردها بغير حجة وسلطان أتاهم من اللَّه، أو بغير حجة يمكن لهم الاحتجاج بها، وإلا كان أهل الإيمان قد يجادلون فيها حتى إذا ظنوا أنها آيات اللَّه آمنوا بها وأقروا بها، لكن الوجه فيه ما ذكرنا، أي: جادلوا في دفع آيات اللَّه وردها بغير حجة أتتهم.

---

(١) قال الزمخشري:هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام. وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب: أقام فيهم نبيا عشرين سنة. وقيل: إن فرعون موسى هو فرعون يوسف، عمر إلى زمنه. تفسير الزمخشري = الكشاف (٤/ ١٦٦) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٣)

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٧١٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٣) تفسير الماتريدي (٩/ ٢٧) تفسير السمرقندي (٣/ ٢٠٥)

وقيل أي: وجدال الذين يجادلون كبر مقتاً وفاعل كَبُرَ كَذلكَ أي كبر مقتاً مثل ذلك .أو: كبُر جِدَالُهُمْ مَقْتاً عند الله وعند الَّذِينَ آمنوا.

وَالْمُؤْمِنُونَ أَيْضًا يُبغضُون مَنْ تَكُونُ هَذِهِ صِفَتَهُ، فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَلَا يَعْرِفُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا (١)

وقيل: كذلك يضلّ الله أهل الإسراف والغلوّ في ضلالهم بكفرهم بأقله، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحُجَج. (٢)

وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ٣٦-٣٧غافر

ابْنِ لِي صَرْحاً يعني قصرا مشيدا من آجر لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ يعني أبواب السموات السبع يعني باب كل سماء إلى السابعة أو طرق السموات فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَبَخَ الآجُرَّ وَصُنِعُ لَهُ الصَّرْحُ. على أني لا أعتقد أوليته في ذلك فقد كشفت التحليلات لأحجار الأهرامات أنها من الآجر المتقن والأهرامات أقدم من فرعون موسى بكثير.

وكان من قصته وقصة ارتقائه أنه لما بُنِي له الصرح ارتقى فوقه، فأمر بِنُشابة فرمى بها نحو السماء، فردّت إليه وهي متلطخة دما، فقال: قد قتلت إله موسى، تعالى الله عما يقولون. (٣)

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ٢٨) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٧) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٤) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٥٧)

(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٤) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٤) البحر المديد لابن عجيبة (٥/ ١٣٣)

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٣) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٩٧٩) رقم ١٦٩١٩ تفسير الطبري (١٩/ ٥٨١)

وقوله: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ يقول: وإني لأظنّ موسى كاذبا فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا. وَقِيلَ: إِنَّ الظَّنَّ بِمَعْنَى الْيَقِينِ أَيْ وَأَنَا أَتَيَقَّنُ أَنَّهُ كَاذِبٌ .

يقول: وإن كنت زعمت أني أطلِعُ إلى إله موسى فأنا قلت هذا على دعوى موسى لا على أني على يقينٍ من ذلك. (١)

ولما قال فرعون بمحضر من ملئه: فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى اقتضى كلامه الإقرار بإِلهِ مُوسى، فاستدرك ذلك استدراكا قلقا بقوله: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً، ثم قال تعالى: وَكَذلِكَ زُيِّنَ أي إنه كما تخرق فرعون في بناء الصرح والأخذ في هذه الفنون المقصرة كذلك جرى جميع أمره.

وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: زين الشيطان له سوء عمله.

وقيل: زين له سوء عمله بالأتباع وكثرة الأموال والحشم الذي أعطي له، أو زين له سوء عمله بالأسباب التي أعطيت له، فيكون اللَّه تعالى مزينًا له سوء عمله بإعطاء الأسباب.

وقيل: زين له سوء عمله، أي: خلق في طبعه أن يرى ذلك حسنا مزينًا وإن كان قبيحًا في نفسه حقيقة .

وقيل: الذي زين لفرعون سوء عمله جهله، فلما جهل أن له ربا يجب عليه عبادته وتوهم بطلان ما دعي إليه سولت له نفسه ذلك من أمره. (٢)

وقوله: ﴿ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ قال ابن عباس: صده الله عن سبيل الهدى. والسَّبِيل: الدين والتوحيد . وفي قراءة :وَصَدَّ بِفَتْحِ الصَّادِ عَلَى أَنَّهُ مَنَعَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالُوا: وَمِنْ صَدِّهِ قَوْلُهُ ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٢٤] (٣)

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٥) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٦٠)

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٩/ ٣٠) تفسير ابن فورك (٢/ ٣٥٨) تفسير الماوردي = النكت والعيون (٥/ ١٥٦)

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٧/ ٥١٧) لتفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٤)

وقوله: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في خسار، التباب: الخسار، ويقال: تبًّا له، أي: هلاكا له، وقيل: تبت يد الرجل، أي: خابت وخسرت.

يَعْنِي وَمَا كَيْدُهُ فِي إبطال آيات الله وآيات مُوسَى إِلَّا فِي خَسَارٍ وَهَلَاكٍ. (١)

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ ٣٨- ٤٢غافر .

سَبِيلَ الرَّشادِ طريق الصواب . مَتاعٌ متعة وبلاغ، تنتفعون بها مدة ثم تزول عنكم وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ : التي تستقر فلا تزول .

وفي هذا تصريح واضح بإيمانه وبيان مفردات إيمانه بالله والحساب واليوم الآخر. وأنه على علم بأسماء الله تعالى (٢)

قال الرازي: فَإِنْ قِيلَ لِمَ كَرَّرَ نِدَاءَ قَوْمِهِ، وَلِمَ جَاءَ بِالْوَاوِ فِي النِّدَاءِ الثَّالِثِ دُونَ الثَّانِي؟ قُلْنَا أَمَّا تَكْرِيرُ النِّدَاءِ فَفِيهِ زِيَادَةُ تَنْبِيهٍ لَهُمْ وَإِيقَاظٌ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَإِظْهَارُ أَنَّ لَهُ بِهَذَا الْمُهِمِّ مَزِيدَ اهْتِمَامٍ، وَعَلَى أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ فَرْطَ شَفَقَةٍ، وَأَمَّا الْمَجِيءُ بِالْوَاوِ الْعَاطِفَةِ فَلِأَنَّ الثَّانِيَ يَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَيْنَ الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الثَّانِيَ بَيَانٌ لِلْأَوَّلِ وَالْبَيَانُ عَيْنُ الْمُبَيَّنِ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَلِأَنَّهُ كَلَامٌ مُبَايِنٌ لِلْأَوَّلِ وَالثَّانِي فَحَسُنَ إِيرَادُ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ فِيهِ، (٣)

وقوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٤٣)

---

(١) تفسير البغوي – إحياء التراث (٤/ ١١٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٢٠٦)

(٢) تفسير الثعلبي (٨/ ٢٧٧) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٤) تفسير البغوي (٤/ ١١٣)

(٣) تفسير الرازي (٢٧/ ٥١٩)

لا جرم (لا) زائدة، وجرم : حق. اي: حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئا.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: (لَا جَرَمَ) فقال: لا جَرَمَ رَدٌّ لِكَلَامٍ. والمعنى وجب أَنَ لَهُمُ النَّارَ، وحق أن لهم النارَ.

فمعنى (لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لقد وجب أن ما تدعونني إليه ليس له دَعْوَةٌ أي وجب بطلان دعوته. (١)

قوله تعالى ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ٤٤-٤٥]

فَسَتَذْكُرُونَ إذا نزل بكم العذاب – في الدنيا والآخرة – ما أَقُولُ لَكُمْ من النصيحة. فأوعدوه فقال: وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ . ولا أخاف منكم، ولا من كيدكم.

قيل: هرب المؤمن إلى الجبل فطلبه رجلان فلم يقدرا عليه. لكن المقصود نجاته مع موسى لأنه ذكر في المقابل أته حاق بآل فرعون سوء العذاب وهو الغرق. (٢)

﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [٤٦]

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها في قبورهم المفترضة، وكذلك إن كانت معلومة، وذلك أن أرواح آل فرعون وروح كل كافر تعرض على منازلها كل يوم مرتين غُدُوًّا وَعَشِيًّا ما دامت الدنيا، ثم أخبر بمستقرهم في الآخرة، وهو دليل على عذاب القبر .

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَرْوَاحُهُمْ فِي صَدْرِ طَيْرٍ سُودٍ يَرَوْنَ مَنَازِلَهُمْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا(٣)

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٦) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٢٠)

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧١٥) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٤) تفسير القشيري (٣/ ٣٠٨) تفسير الماتريدي (٩/ ٣٢) تفسير الزمخشري (٤/ ١٧٠)

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٧١٥) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٤٥) رقم ٢٦٨٠ تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٥)

الفصل الأول

الحوار التربوي

وفيه مباحث

المبحث الأول: التربية في الخطاب

المبحث الثاني: التربية في كيفية بناء الدولة

المبحث الثالث: التربية في تعليم أسس الجهاد الذي تقوم عليه الدولة

المبحث الأول

التربية في الخطاب

في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ﴾ يعلمنا الله سبحانه وتعالى كيف نخاطب الناس وأي أسلوب نسلك معهم لإيصال ما نريد ، فأمرنا بحسن الأسلوب، والاعتماد على الأدلة القوية، والبراهين الظاهرة، ثم الصبر الطويل على الناس .

أولا: علمنا ان نسلك أسلوبا حسنا، فقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] وقال لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] وهو نفس الشيء الذي أمرتنا به السنة المطهرة: أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم (١) وفي لفظ آخر "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"(٢).ونهانا عليه الصلاة والسلام عن عكس ذلك فقال "لا تحدثوا أمتي من أحاديثي إلا بما تحمله عقولهم".(٣) ولبيان ضرره قال ابن مسعود رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. (٤) فلا بد أن ننزل الناس منازلهم كما يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم (٥)

فهذه تربية عظيمة أكد عليها القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف، وقد مشى على ذلك السلف الصالح فلا يجوز العنف ولا الشدة في الخطاب، حتى لوكان كافرا، فقد ورد أن هارون الرشيد كان يطوف بالبيت إذ عرض له رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إني أريد

---

(١) أخرجه الديلمى (٣٩٨/١ ، رقم ١٦١١) ويقويه حديث البخاري الذي بعده .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٧) عن علي موقوفًا.

(٣) أخرجه الديلمى (١٧/٥ ، رقم ٧٣١٢) وبقويه ما قبله وما بعده

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١١/١ وعنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٤٠) رقم ٨٩١

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، وأبو داود (٤/ ٢٦١) رقم ٤٨٤٢ بلفظ «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» والبيهقي في الآداب (ص: ١٩) رقم ٣٩

أن أكلمك بكلام فيه غلظة فاحتمله لي، فقال: لا، ولا نعمة عين ولا كرامة، قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شرّ مني فأمر أن يقول له قولا لينا. (١)

فالتربية هي أن يلتزم المسلم بأصول الحكمة والعلم والبصيرة، وهي أول شيء نادى به الرسل كما قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وقوله أيضا ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ فالرفق واللين والمداراة والتلطف بالكلام واجب تربوي (٢) كما بينت هذه الآيات، وبذلك يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم فيقول عندما أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذا رضي الله عنهما إلى اليمن " ادعُوَا الناس وبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا " (٣)

وبطريقة عملية نذكر بمواقف تربوية فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف وفي منى بعد البعثة وفي أحد قال كلمته المشهورة " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون "(٤) واتهموه بأشياء كثيرة فكان يبين لهم بهدوء أنه ليس كما يقولون ويقول " ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه إليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم" (٥)

---

(١) المجالسة وجواهر العلم للدينوري (٣/ ٣٦٤) رقم ٩٩٣ وتاريخ دمشق لابن عساكر (٧٣/ ٣٠١)

(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص: ٥٢)

(٣) أخرجه مسلم (١٥٨٦/٣ ، رقم ١٧٣٣) وبنحوه عبد الرزاق (٤/ ٤٢) رقم ٦٩١١ وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٨) رقم ٢٦٤٨١ وأحمد (٤١٢/٤ ، رقم ١٩٧١٤) والبخاري (١١٠٤/٣ ، رقم ٢٨٧٣)

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٨٢) رقم ٣٢٩٠ ومسلم رقم (١٧٩٢) ولفظهما " اللهم اغفر" و ابن حبان (٢٥٤/٣ رقم ٩٧٣) والطبراني (١٢٠/٦ رقم ٥٦٩٤) البيهقي في الشعب ١٦٤/٢ رقم ١٤٤٧ مسند ابن أبي شيبة ١/ ١٦٢ رقم ٢٣٣ وأحمد رقم ٣٦١١ وابن ماجه ٢/ ١٣٣٥ رقم ٤٠٢٥

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ٩٢)

وقد تسرعت عائشة رضي الله عنها ذات مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"(١)

وهكذا يصرح مؤمن آل فرعون بالرفق والخوف عليهم ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] ثم يبين لهم النعيم الذي هم فيه وأنهم إن كفروا زالت عنهم النعم ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ [غافر: ٢٩]

ثانيا: وعلمنا أن نقدم الأدلة القوية والحجج الدامغة، التي اعتمد عليها الأنبياء الذين أيدهم الله وأهلك مخالفيهم، وساق القرآن الكريم هذا بأفضل سياق على لسان مؤمن آل فرعون فقال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١] ونرى هذا مبثوثا في القرآن كله، خاصة في قصص الأنبياء مع أقوامهم.

ثالثا: البراهين القاطعة، وذلك من خلال قوله تعالى ﴿ وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي بالأدلة التي لها سلطان على العقول كالمعجزات تدل على صدق نبوة النبي، وهي أدلة لا يملكها غيره، ولا يمكن دفعها ولا الإتيان بمثلها، وهذا واقع مسلم به، لأن فرعون لم يستطع أن يأتي بمثلها ولما أوهم نفسه بذلك انهزم أمام معجزة العصا فقط، ولم يكن أمامه إلا التهديد باستعمال القوة، وانهزمت قوته أمام المعجزات الأخرى، حتى اضطر هو وأركان دولته إلى تعطف موسى أن يرفع عنهم البلاء ، وتكرر هذا تسع مرات، ومن خلال ذلك

---

(١) أخرجه الطيالسى (ص ٢١١ ، رقم ١٥١٦) وابن أبى شيبة (٢٠٩/٥ ، رقم ٢٥٣٠٤) وعبد بن حميد (ص ٣٧٢ ، رقم ١٢٤١). وأحمد (١٦٥/٣ رقم ١٢٧١٢) ومسلم (٢٠٠٤/٤ ، رقم ٢٥٩٤) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٢١٠/١ ، رقم ٦٠١) وأبو داود (٣/٣ ، رقم ٢٤٧٨) ، والترمذى (٣٤٩/٤ ، رقم ١٩٧٤) وابن ماجه (١٤٠٠/٢ ، رقم ٤١٨٥) وابن حبان (٣١٠/٢ ، رقم ٥٥٠) .

كان عنده علم يقيني بأن رب موسى هو الذي يرفع البلاء ، وظل على عناده ومراوغته، رغم عجزه الكامل عن دفع آية واحدة .

فقد راوغ تارة بالسحرة ففشلت هذه المراوغة فشلا مخزيا أمام الناس في مملكته كلها وأمام الناس يوم عيدهم، وتارة أخرى راوغ بأنه يريد أن يطلع إلى إله موسى، وكلف نفسه ببناء صرح عال عظيم ليرى أسباب السموات، ولم يقدم تفسيراً لأحد أنه فعل شيئا ، إلا أنه ادعى كذبا أنه قتل إله موسى، لكن ما لبث ان انهزم وانكشف كذبه أمام وطأة المعجزات الأخرى .

رابعا: الصبر . ومن خلال ما تقدم يبرز معنا أمر هام آخر من الأمور التربوية وهو الصبر والنفس الطويل والتأني على الجاهل، لأن الداعي إلى الصبر هو طلب ما عند الله من الثواب، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "والله لأن يَهْدِىَ الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حُمْرُ النَّعَمِ" (١) وفرعون مع ظلمه وتكبره واستعلائه وطغيانه وامتناعه قبول الحق كل ذلك بإفراط شديد صبر عليه موسى عليه السلام سنينا طويلة رجاء أن يتبع الحق، ولم يكن يريد منه شيئا سوى الإيمان وأن يبقى حيث هو وموسى عليه السلام يأخذ بني إسرائيل ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة، ولكنه أبى واستكبر، وما كان سيخسر شيئا، ولكنها اللعنة والجبروت ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار ﴾ [غافر: ٣٥] ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٧]

وهكذا صبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلمنا أن صبره طويل جدا أكثر مما يتصور الكفرة أنفسهم، وأعلنها قائلا " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣٣/٥ ، رقم ٢٢٨٧٢) ، والبخارى (١٠٩٦/٣ ، رقم ٢٨٤٧) ، ومسلم (١٨٧٢/٤ ، رقم ٢٤٠٦) وابن حبان (٣٧٧/١٥ ، رقم ٦٩٣٢)

وحده لا يشرك به شيئا " (١) وكان يفرح فرحا شديدا إذا دخل أحد منهم في الإسلام ولو كان قليل الشأن كما فرح بإسلام غلام من اليهود وقال " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار " (٢) تماما كما فرح بإيمان الكبار مثل خالد وعمرو بن العاص .

فأي تربية هذه التي تطلب من العالم أن يتحلى بالصبر على عدوه ليس سنينا وإنما أجيالا وهو يدعو لهم بالهداية .

(١) أخرجه البخاري (٣/١١٨٠ ، رقم ٣٠٥٩) ، ومسلم (٣/١٤٢٠ ، رقم ١٧٩٥) والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٤٤) رقم ٧٦٥٩ والطبراني في الأوسط (٨/ ٣٧٠) رفم ٨٩٠٢ وابن حبان (١٤/ ٥١٦) رقم ٦٥٦١

(٢) أخرجه أحمد: ٣/٢٨٠ رقم١٤٠١٠ والبخاري (١٣٥٦) و (٥٦٥٧) وأبو داود (٣/ ١٨٥) رقم ٣٠٩٥ والنسائي في الكبرى (٨٥٨٨)وأبو يعلى ٦/٩٣ رقم٣٣٥٠

المبحث الثاني

التربية في كيفية بناء الدولة

قد لا يتنبه الباحثون والسياسيون الذين ينهجون منهجا إسلاميا – أو غير إسلامي – أن هذه القصة بالذات ركزت على أهم الأسس السياسية لبناء الدولة – أي دولة – بغض النظر عن اتجاهها، وسوف نتكلم عن هذا الركن أولا لأنه مهم وغير متوقع، ولأنه قد يثير الفضول أكثر من غيره .

وهذا الركن المهم هو اتخاذ العيون في عقر دار العدو ، ونقصد بالعيون هنا الجواسيس في المصطلح السياسي، فالله سبحانه وتعالى لكي يعلمنا ذلك وضع ثلاثة أعين – أعني جواسيس – في قصر فرعون، وهؤلاء هم زوجة فرعون وماشطة ابنتها وهذا الرجل، لكي يستفيد منهم موسى في الأخبار وصناعة القرار .

أما في نقل الأخبار فهو الذي عبرت عنه الآية ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٠، ٢١] فهنا جاء الخبر من داخل القصر ليخبر موسى بأنه صدرت الأوامر بالقبض عليه وأنهم قرروا قتله، وأنه لا تنفع المقاومة ولا الاختباء ، وصدق موسى عليه السلام الخبر لأنه يعرف الرجل وتربى معه في القصر ، ونفذ نصيحته على الفور ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ وخرج وهو يدعو ربه الذي يعتمد عليه دائما ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

وأما في صناعة القرار ففي هذه الآيات قرار واضح من فرعون أنه سيقتله هو وقومه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ* وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٥-٢٦] وهو قرار من ظالم جبار استخف قومه فهم يطيعونه في كل شيء ، وهنا يأتي دور الجاسوس في صناعة القرار الذي لا يستطيع أحد من بني إسرائيل فعله ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا

فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] فابتدأ معهم حوارا ليراجعوا أنفسهم ويشككهم في دينهم، ويصرف نظرهم عن القضية الأساسية وهي قتل موسى وقومه، ونجح في ذلك نجاحا عظيما، فانصرف فرعون لكي يبني صرحا عظيما عاليا لكي يطلع إلى إله موسى، وأخذا هذا وقتا كبيرا .

إذن قضية اتخاذ الجواسيس أمر مهم في الحرب مع العدو ، لأن المعركة لا تبدأ بإرسال الجنود إلى أرض المعركة بل لابد من معرفة كل شيء عن وضع العدو ، لكي توضع الخطة حسب الأخبار التي تأتي من عيون الدولة ويحولها الخبراء إلى دراسة تقدم إلى القيادات العسكرية لكي يحسبوا حساب كل شيء .

وهذا ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يُرْسل الطَّلَائِع والجواسيس فِي ديار الْكفْر (١) فمن جملتها أنه كانت تأتيه الأخبار من قبل ملوك غسان أنهم ينوون محاربته وينعلون الخيل استعدادا للحرب (٢)

وكان له صلى الله عليه وسلم جواسيس مثل بسيسة (بسبس بن عمرو) (٣)

وأنس بن فضالة وأخيه مؤنس (٤) وعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي (٥) والحباب بن المنذر بن الجموح وكان خبيرا يقدر عدد العدو (٦) وفي ليلة الخندق عمل الزبير بن

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٣٤) الانتصار لأصحاب الحديث (ص: ٤٠) البدر المنير (٩/ ٥٤)

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٤٨) رقم ٢٢٢ والبخاري (٧/ ٢٨) ٥١٩١ ومسلم (٢/ ١١١١) ١٤٧٩ والترمذي (٥/ ٢٧٧) ٣٣١٨

(٣) صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٩) رقم ١٩٠١

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١١٢) أسد الغابة ط (١/ ٢٩٢)

(٥)التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ٧٥) معجم الصحابة للبغوي (٤/ ١٣٦)

(٦) الطبقات الكبرى (٢/ ٢٨) وقال: ثُمَّ بعث الحباب بن المنذر بن الجموح أيضا فدخل فيهم فحزرهم وجاءه بعلمهم.

العوام جاسوسا عسكريا فدخل في صفوف المشركين وعرف خبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح المشهور (١)

وقد ساق الله يوم الخندق أيضا نعيم بن مسعود الأشجعي حيث أسلم أثناء الحرب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "خذل عنا ما استطعت" فقال: إيذن لي فقال " قل ما بدا لك فإن الحرب خدعة" (٢) وكان رسول الله ترك عمه العباس في مكة ولم يجيره على الهجرة لكي يستطلع الأخبار ويخذل عنه، وحديثه مع الحجاج بن علاط بعد خيبر يدل على ذلك. (٣)

وكانت لعمر، رحمه الله ورضي عنه، في كل جيش عيون يتعرفون الأخبار من قبلهم، وكذلك جميع الخلفاء (٤)

وهكذا كان حكام المسلمين لهم جهاز كبير جدا يُدرّب أفراده على الدخول في صفوف الأعداء وفي قصورهم ليتعرفوا على أدق التفاصيل عن عدوهم .

كل ذلك اقتباسا وتعلما من هذه القصة التي جعلها الله نبراسا لكل ذي عقل وفهم أن لا يأمن لعدوه ولا يغفل عنه .

---

(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ؟ " قَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: " مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ " فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، قَالَ: " مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ " فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، قَالَ: " لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ " أخرجه عبد بن حميد (١٠٨٨) وأحمد (٢٣/ ١٩٨) رقم ١٤٩٣٦ والبخاري (٢٨٤٦) و (٤١١٣) ، ومسلم (٢٤١٥) ، والترمذي (٣٧٤٥) وابن ماجه (١٢٢)

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٦٦٨) رقم ٦٣٩٣ والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٥٠٨) رقم (٢٦٢٩)

(٣) أخرجه البزار = البحر الزخار (١٣/ ٣١٦) رقم ٦٩١٦ والمعجم الكبير للطبراني (١١/ ٣٠٠) رقم ١١٧٩٨

(٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (٢/ ٤٢٩)

ومن قبله قصة يوسف عليه السلام كذلك، حيث اقتلعه الله من حضن أبيه الخليل ليرمي به في الجب ولكن ليزرعه الله في قصر الملك لكي يغير معالم الدنيا، وينورها بأنوار التوحيد ، ولو كان فقيرا في بيت متواضع لما استطاع أن يصل أبدا، ولكن يعلمنا الله أن نتحايل على كل الصعوبات لكي نجد طريقا نزرع فيه عيوننا – أقصد جواسيسنا – في قصور أعدائنا .

وهكذا تعلم الناس على لسان الأنبياء هذه الأمور الأساسية لبناء الدولة القوية التي لا تسمح لعدوها أن يكون له موطيء قدم عندها، بينما هي أعينها تصل إلى أي مكان في قصور ملوكها .

ولكننا غفلنا اليوم عن هذا الركن حتى وقعنا في عكس ذلك، وأصبحت أخبارنا عند عدونا فاحتل ديارنا قرونا طويلة، ولم يخرج حتى جعل جدران الأزقة جواسيس له .

ولقد نسينا أن حروبنا مع الصليبيين والمغول كانت حرب جواسيس، فكلما تفوقوا علينا في هذا الميدان غلبونا، فإن انتبهنا وعرفنا مداخلهم ومخارجهم غلبناهم وطردناهم، ومن يقرأ بتدبر تاريخ الأمويين والعباسيين والزنكيين والأيوبيين والسلاجقة والعثمانيين يعلم عِلم اليقين أن حروب الكر والفر تابعة للتفوق في هذه الحرب.

خاصة آخر ملوك بني عثمان الذي قتل ثلاثة وصلوا الى درجة رئيس وزراء (١)

إن قصة مؤمن آل فرعون لم يقصها الله علينا عبثا ولكن لكي نكون عالمين بالأركان التي تبنى عليها الدول، صحيح أنها تابعة للتمسك بالدين ولكن يجب أن نعلم أن هذه الحرب من الدين بل ومن صميم القرآن وهديه :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ص ١٧ و٣٣ و٤٧

﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]

وهكذا كانت آخر كلمات المؤمن ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]

لقد كان الله يعلم أننا سنغرق مثل ما غرق بنو إسرائيل ولذلك كرر علينا القصة حتى لا نغفل ولا ننام ونظل نذكر ما قال لنا، مفوضين أمرنا إلى الله إن الله بصير بالعباد .

المبحث الثالث

التربية في تعليم أسس الجهاد الذي تقوم عليه الدولة

يتبادر إلى الذهن أن هذا مبحث خاص للجهاد والقتال والسلاح والحرب، ولكن ليس في القصة شيء من هذا وإنما هو جهاد الكلمة، إنها كلمة ولكن ليست من باب الدعوة ولكن من باب الجهاد ، جهاد المستميت وجهاد العالم وجهاد الثابت على المبدأ .

لقد كان مؤمن آل فرعون ليس مجرد داعية ولكنه مجاهد قد وطن نفسه على الموت، ومقاتل مغوار من الطراز الأول ألقى بنفسه في غمار العدو في قلب المعركة، وكان معه سلاحان سلاح الإيمان بالله وسلاح الكلمة .

أما سلاح الإيمان فهو أساس لبناء أي دولة، وهذا شيء معروف وشرحه يطول، ولا يحتمله البحث .

وأما سلاح الكلمة فهو جهاد العلماء ، وإذا كانت في مواجهة المتسلطين الجبابرة فهي أعلى مراتب الجهاد ، والشهيد فيها سيد الشهداء ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم« سيد الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ عَلَى ذَلِكَ » (١)

وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمن آل فرعون بالصديق كما تقدم (٢) أي أعطاه درجة أعلى، وهنا لا بد من وقفة، فتسميته صديقا لها قيمة تربوية عظيمة جدا، قد لا يتنبه لها الكثيرون، وهي إضفاء رتبة الصديقية على من يصدع بالحق أمام الجبابرة، ويكون عالما بما يقول، فمجرد القول يدخله في رتبة الصديقية فإن قتل فهو صديق

---

(١) أخرجه أبو حنيفة في مسنده (ص ١٨٧) والطبراني في الأوسط (٢٨١/١ ، رقم ٩١٨) والآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٥) والحاكم (٢١٥/٣ ، رقم ٤٨٨٤) وقال : صحيح الإسناد . ومحمد بن مخلد في المنتقى (ص: ٣٨) رقم ٣٧ ومنهم من قال خير الشهداء ومنهم من قال أفضل.

(٢) ص١١ من هذا البحث في الهامش . وقد ذكر هذا كثير من كتب التفسير مثل تفسير الرازي (٢٧/ ٥٠٩) والبحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٢٥٣) والدر المنثور (٧/ ٥٣) وعزاه لكثيرين

وشهيد سيد، بمقتضى نص الحديثين، وما دام أنه عالم فهو يعلم عظم المرتبة التي يتقدم إليها، فهي تربية للنفوس العظيمة التي لا تخاف في قول الحق لومة لائم.

ولأن هذه الوقفة قد تغير مسار أمة، وكلمة العالم الثابت أمام السلطان تغني عن الآلاف المؤلفة من الجيوش وتدبير الانقلابات التي قد تزهق فيها أرواح أبرياء كثيرين ، ولأن أبا بكر صديقٌ فقد وقف أمام المرتدين وقفة عظيمة رد الدين إلى أصوله، وهكذا فعل السلف الصالح في المواقف العظيمة، ومن ينسى ما فعله الإمام أحمد بن حنبل في وجه المعتزلة لما قالوا: القرآن مخلوق والخليفة معهم ويؤيدهم ويناصرهم ويسجن من يخالفهم، ووقف الإمام احمد العالم الجليل يناقشهم في حضرة الخليفة، ويبين خطأهم ولولاه لصارت الأمة كلها معتزلة، ذات عقيدة فاسدة، ولو أن الإمام احمد رحمه الله استعان بجيش أو جهة ما لوقعت مذبحة عظيمة لا نهاية لها، ولحصلت فوضى تهدد وجود الدولة الإسلامية التي كانت لا تغيب عنها الشمس، ولكن وقفته لوحده وبيان حجته وقوتها أغنت عن جيوش الأرض، وثبت على مبدئه واعتقاده، ولم يبال بالسجن والتعذيب طيلة ثمانية عشر عاما . (١)

---

(١) وقد وصف الإمام أحمد بالصديقية الخليفة العباسي المتوكل كما نقل عبد الغني المقدسي في كتابه المحنة على الإمام أحمد ص ١١٥ وفي (ص: ١٤) عن فتح بن نصير، قال: سمعت أبا بكر الخفاف، حدثني حسين، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا نبي الله، ما بال أحمد بن حنبل؟ قال: سيأتيك موسى عليه السلام فسله. فإذا أنا بموسى، فسألته، فقال: ابن حنبل بُلي في السراء والضراء فوجد صادقاً، فألحق بالصديقين،

وقال في (ص: ١٥) حدثنا أبو العباس الصوفي، قال: كنا يوماً في المسجد الجامع ننتظر السري رحمه الله، وكان في المسجد خلف وأبو بكر الناقد صاحب الحبيبي وابن أخي معروف الكرخي، فقال أبو يوسف ابن أخي معروف: كنت بين النائم واليقظان، فإذا أنا برجل قد دخل علي وعليه جبة صوف بلا كمين، فقلت: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران الذي كلمني الله وما بيني وبينه ترجمان، فبينا أنا كذلك إذ هبط علينا رجل من السقف عليه حلتان، جعد الشعر، فقلت: من هذا؟ فقال لي: هذا عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم قال لي موسى: أنا موسى بن عمران الذي كلمني الله وما بيني وبينه ترجمان، وهذا عيسى ابن مريم، ونبيكم وجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وأحمد بن حنبل وحملة العرش، وجميع الملائكة يشهدون أن القرآن كلام الله

ولذا قال هلال بن العلاء الرقي: منَّ الله على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بأحمد بن حنبل ثبت في المحنة، ولولا ذلك لكفر الناس، وبالشافعي تفقه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويحيى بن معين نفى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبأبي عبيد القاسم بن سلام، فسر الغريب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولولا ذلك لاقتحم الناس في الخطأ. (١)

إذن موقف العالم الثابت في المكان الصحيح هو بمثابة أمة كالرسل تماما، ولذا قال تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠] وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول" العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر " (٢)

هذه هي التربية الإسلامية الحقيقية التي ظهرت من خلال قصة مؤمن آل فرعون .

غير مخلوق، فقال خلف: قد قلت لأبي عبد الله هذه المقالة، فقال: أشتهي أن أسمعها من فيه. قال له ابن أخي معروف: غداً أركب حماراً وأمضي إليه.

قال أبو العباس: أنا أقول: الناس من دون أحمد كلهم في ميزان أحمد، كما أن الناس دون أبي بكر في ميزان أبي بكر.

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٢) تاريخ دمشق (٥/ ٣١٨) سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٠٥) المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي (ص: ٢٢)

(٢) أخرجه أحمد (١٩٦/٥ ، رقم ٢١٧٦٣) والبخاري (١/ ٢٤) معلقا بعد الرقم ٦٧ ، وأبو داود (٣١٧/٣ ، رقم ٣٦٤١) ، والترمذى (٤٨/٥ ، رقم ٢٦٨٢) من طريقين صحح أ حدهما . وابن ماجه (٨١/١ ، رقم ٢٢٣) والدارمي ١١٠/١ رقم ٣٤٢ وابن حبان (٢٨٩/١ ، رقم ٨٨) ولفظ الحديث:

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»

والملفت للنظر أيضا – والقصة كلها ملفتة للنظر – أن الله تعالى يعلق على القصة ليتنبه الحكماء وأولوا الألباب فيقول وما أجمل ما يقول ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]

فحقق الله وعده لمؤمن آل فرعون:

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]

وماذا كان مصير فرعون نفسه ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ* آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢]

وماذا حصل لهم في الدنيا؟ لقد دعا عليهم رسول الله موسى عليه السلام:

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ* فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ* وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ* كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ* فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٢ – ٢٩]

يا إلهي ! ما أقسى هذه الكلمة على الكافر لوكان عنده ذرة عقل أو لمحة تدبر.

أغرقهم الله المنتقم الجبار، ثم يعطينا الله تعالى المغزى التربوي تعليما لنا كي نتعظ ونعتبر : أنهم ما بكت عليهم السماء والأرض، لم يتأسف على هلاكهم أحد ، لأن الظالم يتمنى زواله كل مظلوم فلا يأسف عليه مخلوق، ويلعنه كل شيء وتلعنه السموات والأرض: ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص: ٤٢]

ويهلك هو ومن معه { فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} [القصص: ٤٠] وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله ليملى للظالم

حتى إذا أخذه لم يفلته" (١) لأن الله لو أهلكه من البداية لقيل لا يستحق ولكن يملي له حتى تكرهه ثيابه .

إذن فالله سبحانه تكفل بالنصر وما دام أن الله هو الذي يرسل رسله والذين آمنوا أيضا فلا بد أن ينصرهم، ولو اقتضى الأمر أن يفني العالم من أجلهم لأفناهم ولا يبالي، وها هو يغرقهم لدعاء أطلقه نوح عليه السلام ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٩ – ١٦]

وها هم قوم عاد العماليق الذين أعطاهم قوة لم يعطها لأحد وسكنوا أحسن البلاد التي لم ير مثلها في الدنيا فكذبوا الرسل ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]

وأي ريح هذه؟ ماذا فعلت بأحسن دولة في التاريخ؟ :

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٣– ٢٥]

وما هي قوة هذه الريح؟:

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ* مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢]

وماذا فعلت بالبشر ؟:

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢٦/٤ ، رقم ٤٤٠٩) ومسلم (١٩٩٧/٤ ، رقم ٢٥٨٣) والترمذي (٢٨٨/٥ رقم ٣١١٠) والنسائي في الكبرى (٣٦٥/٦ ، رقم١١٢٤٥) وابن ماجه (١٣٣٢/٢ ، رقم ٤٠١٨) والبزار (١٦٢/٨ ، رقم٣١٨٣) وأبو يعلى (٣٠٧/١٣ ، رقم ٧٣٢٢)

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ*إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ *فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ١٨ – ٢١]

وبعد كل هذا يوجه الله سبحانه الخطاب لنا نحن، وهنا يأتي دور التربية، بعد عرض القصة وبيان النتائج، وبعد أن بين لنا المطلوب وتكفل لنا بالنصر يعلمنا أن ما جرى للأمم السابقة ليس بعيدا عن المكذبين مهما كانوا أقوياء وعلماء مخترعين فكل شيء يمكن أن ينتهي في لحظة واحدة فيقول: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٤ – ٢٧]

تثبيت ما بعده تثبيت وتربية ما بعدها تربية وحقيقة ما بعدها حقيقة، لو أن دولة عظمى قالت : سأقف إلى جانبكم لملأنا وسائل إعلامنا شهورا نتغنى بهذا الوعد ، ونحن نعلم أنهم كاذبون، وهذا وعد الله القادر الغالب الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه شيء، يعدنا بوعده الصادق ويهدد عدوّنا بقوته الغالبة وقدرته على التنفيذ .

ونحن اليوم لو وقفنا وراء علمائنا لتغير حالنا، بل لم نصل إلى ما وصلنا إليه، لأن الأمة عندما تكون خلف علمائها لا يتجرأ الجبارون على الظلم ، ويحسبون ألف حساب لهذا الجمهور .

وهذا ما فعله الخليفة العباسي المتوكل فقد شعر بغضب الجماهير لسجن الإمام أحمد وصدق كلامه وأطلق سراحه ورفع مكانته فابتهج الناس كثيرا حتى صاروا يعتقدون في ولايته، ومازال التاريخ يذكره بخير ويثني عليه ثناء عظيما. (١)

(١) مناقب الإمام أحمد (ص: ٦٧١) المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي (ص: ١١٥)

الحوار الدعوي

وفيه مباحث

المبحث الأول: بيان أسس الدعوة إلى الله في هذه القصة

المبحث الثاني: بيان أسلوب الدعوة في هذه القصة

المبحث الثالث: بيان أسلوب الموعظة في هذه القصة

المبحث الأول

بيان أسس الدعوة إلى الله في هذه القصة

بعد ان وضع الله لنا أسسا تربوية كما بينا في الفصل السابق كان لا بد أن يعلمنا كيف ننفذ ، وما هو قانون التنفيذ ؟ (١)

أول شيء هو الاستقامة. فالله سبحانه بين لنا ذلك في أول حوار في هذه القصة، وهو ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [غافر: ٢٣] وهو يختصر الحوار الذي في سورة الشعراء :

﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥ – ٣٣]

فمن خلال هذه الآيات نجد أن الله لم يخف علينا انتقاد فرعون لموسى عليه السلام في قتله النفس، وهو وإن لم يكن معه حق في ذلك لكن الداعية يجب أن يبتعد عن

---

(١) واعتمادنا في الحديث هنا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعيدا عن كتب المعاصرين أفضل من كتب في الدعوة لم يخرج عن هذه الآيات، بل لم يستوعبها شرحا وتفصيلا. ولا أدعي ذلك ولا يتسع المقام لذلك،

الشبهات ويكون مستقيما حتى لا يقال له: انظر إلى نفسك، بل إن فرعون انتقد موسى عليه السلام في أمر ليس من صنع يده فقال الله تعالى على لسان فرعون ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥٢] لأنه يعلم أن لسانه احترق بالجمرة وهو صغير ، وقد دعا موسى ربه ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] وقد استجاب الله تعالى له ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٣٦] وبقي عنده لثغة بسيطة، ومع هذا لم يخف فرعون اعتراضه .

وهو وان اعترض عليه بقتل النفس لكن أجابه بأنه كان لا يدري بأن وكزته ستقتل الرجل، وأنه لم يكن بقصد قتله، وأنه إن قتله فهو غير مسلم، وأنه انتصر للرجل من قومه، ولأن فرعون استعبد بني إسرائيل مئات السنين فليس ذنبا . (١)

فهذا يدلنا على أن الداعية يجب أن يكون مستقيما صالحا حتى يقبل كلامه، ولا يشغلوه بالانتقادات ومن هنا تكفل الله بعصمة الأنبياء،(٢)

والشيء الثاني: أن يدعو إلى الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته وأنه خالق كل شيء ورب كل شيء، لكي يتم الاتفاق على شيء مُسَلّم به، ويكون مرجعا يرجع إليه . (٣)

والشيء الثالث: أن يأتي بالأدلة والبراهين التي تدل على صدق كلامه، فالرسول يقدم المعجزة والآيات الكونية التي تدل على صدق ادعائه، ورسول الله موسى عليه السلام جاء بالآيات والسلطان المبين، ومؤمن آل فرعون استند إلى ما جاء به موسى . فقال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] فذكرهم بالمعجزات والآيات الباهرة وأنه لا يمكن لعاقل إنكارها (٤)

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٨٦) قوله وأنا من الضالين أي من الجاهِلِينَ، وقد قريء بها في غير العشرة

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير(٣/ ٢٣٤) منتهى السول لابن الحاجب ٢/ ٢٢ أصول الدين للغزنوي (ص: ١٣٨) معالم أصول الدين للرازي (ص: ١٠٨)

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٨١٨) تفسير الطبري (١٩/ ٣٤٤) تفسير الرازي (٢٤/ ٤٩٩)

(٤) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٠٨) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٣)

والشيء الرابع: أن يكون عالما، والعالم يستند إلى كل ما جاء به الرسول وإلى العلم المناسب لعصره، وهي البصيرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] أي على يقين وعلم وهدى يكتسبهم العالم من كتاب الله وسنة نبيه الذي يتبعه ويتبع ما جاء به، (١) والواضح أن مؤمن آل فرعون عالم استمد علمه من إقامته مع موسى، فذكر علمه بالآخرة وما يجري فيها ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٢) [غافر: ٣٢، ٣٣] وهذه أمور غيبية لا تعرف إلا من مصدر إلهي، تشترك فيه جميع الأديان السماوية التي لم تحرف ما اندثر منها وما بقي (٣) ثم ذكر علمه بالتاريخ القريب ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ [غافر: ٣٤] (٤) وهو عالم أيضا بالتاريخ القديم ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١] (٥)

المبحث الثاني

بيان أسلوب الدعوة في هذه القصة

---

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٣) تفسير الطبري (١٦/ ٢٩١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٧٦)

(٢) سبق شرح يوم التناد في التمهيد وذكرنا في ذلك حديث طويلا

(٣) الفصول في الأصول (١/ ٧٢) المنخول (ص: ٦٠) نزهة الأعين النواظر (ص: ٣٠٨)

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ١٥٤) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٩)

(٥) هكذا يقول كثير من المفسرين كما في تفسير الرازي (٢٧/ ٥١١) وقال مقاتل وغيره في تفسير قوله تعالى{ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى} [طه: ٥١]: فلم يعلم موسى ما أمرهم؟ لأن التوراة إنما أنزلت على موسى– عليه السلام– بعد هلاك فرعون وقومه، تفسير مقاتل (٣/ ٢٩) تفسير الماتريدي (٧/ ٢٨٥) ولكن كيف يعلم مؤمن آل فرعون مالم يعلمه موسى عليه السلام وهو قد آمن على يده

الدعوة لها أساليب خاصة يجب على الداعية أن يلتزم بها، حتى يسمع منه الطرف الآخر ، ولا يجوز العدول عن الحكمة إلا لأمر يقتضي حكمة أخرى ومصلحة مأمولة، قال تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] إذن فهناك أساليب مرسومة للداعية، وهي:

أولاً: الحكمة. وبعضهم يقول إن الحكمة هي العلم، وهو صحيح لكن لها معنى آخر عند ما تضاف إلى الدعوة فتفيد الأسلوب في أداء العلم، فالحكمة هنا هي قرينة الحلم وهي المشار إليها بقوله تعالى ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] فالدعوة تتطلب العلم والبصيرة، وقد لجأ مؤمن آل فرعون إلى الحكمة من أول كلامه، عندما قال ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨] وقد أعجب الزجاج بحكمة مؤمن آل فرعون فقال: وهذا من لطيف المسائل، لأن أي نبي إذا وعد وعْداً وقع الوعدُ بأسره، لم يقع بعضه، فالسؤال في هذا من أيْنَ جاز أن يقول بعض الذي يَعِدُكُمْ، وحق اللفظ : كل الذي يَعدُكم، فهذا باب من النظَرِ يذهب فيه المناظرِ إلى الزام الحجة بأيْسَرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل ، ومثل هذا قول الشاعر:

قد يُدْرِكُ المُتَأَنّي بَعْضَ حاجتِه. . . وقد يكونُ مع المسْتَعْجِل الزَّلَلُ

إنما ذكر البعضَ ليوجب له الكُل، لا أن البعضَ هو الكل، ولكن للقائل إذا قال أَقَل ما يكون للمتَأنِي إدراك بعض الحاجة وأقل ما يكون للمستعجل الزلل فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه (١)

ثانيا: الحلم والأناة والصبر وطول النفس، أما مؤمن آل فرعون فقد صبر عليهم وأطال النفس كثيرا حتى لتجد كلمة (يا قوم) كررها خمس مرات:

﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ ﴾ [غافر: ٢٩] ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ [غافر: ٣٠]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٢) تفسير الماتريدي (٩/ ٢٣)

﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ ﴾ [غافر: ٣٨] ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ [غافر: ٣٩]

وهذا مثل ما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه في مخاطبته بقوله (يا أبت) بحكمة وتحلم وتلطف وشفقة، فقال إبراهيم ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ ﴾ [مريم: ٤٥] وقال مؤمن آل فرعون ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢]

وسيدنا موسى عليه السلام أطال النفس كثيرا وصبر على قومه كثيرا كما قلنا في التمهيد، عشرين أو أربعين سنة، أو على الأقل صبر تسع مرات على تكذيبهم بالآيات التسع، وهذا قد ذكر في القرآن الكريم لتعليم الدعاة، وللصبر على الناس لعل الله أن يهديهم، وهو ما يقوله نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم " إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا (١) وفي لفظ آخر: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً» (٢) وفي لفظ آخر " إن الله أرسلني مُبَلِّغًا ولم يُرسِلني مُتَعَنِّتًا " (٣)

ثالثا: تحمل الأذى. فيجب أن يتحمل الأذى من السفهاء والجهلاء حتى لا يحرم العقلاء، فالدعوة هي هكذا، سفهاء يتطاولون ومتكبرون يعاندون ويجادلون بالباطل ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥] وبلغ بعناد فرعون واستهزائه أن بنى صرحا عظيما عاليا ليصل إلى السماء ولينظر إلى إله موسى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢/ ٣٩٢) رقم ١٤٥١٥ ومسلم (٢/١١٠٤ ، رقم ١٤٧٨) والترمذى (٥/٤٢٠ ، رقم ٣٣١٨)

(٢) أخرجه أحمد (٣٦/ ٦٢٥) رقم (٢٤٨٥٥) ومسلم (٤/ ٢٠٠٦ رقم ٢٥٩٩)

(٣) أخرجه مسلم (٢/١١١٣ ، رقم ١٤٧٥) .

وظل يبين لهم سفاهة ما يقولون ويفعلون ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٣٨]

ولم يتركهم بل تحمل أذاهم حتى إذا هموا بقتله نجاه الله منهم ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥] (١)

فلا بد أن يتعرض الداعية لكل أصناف البشر وإلا فليجلس في بيته، وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم تعرض للأذى من قومه في دعوته كثيرا سواء في مكة قبل أن يؤذن له بالجهاد أو في المدينة المنورة بعدما أذن له بقتال الكفار خاصة لما آذوه في رحلته إلى الطائف ودعا دعاءه المشهور (٢) فنزل ملك الجبال ومعه إذن بأن يطبق عليهم الجبال فقال: " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "(٣)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٥) قال: ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه، تفسير السمعاني (٥/ ٢٣) تفسير الرازي (٢٧/ ٥٢١)

(٢) وهو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» الدعاء للطبراني (ص: ٣١٥) رقم ١٠٣٦

(٣)عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " أخرجه البخاري (٤/ ١١٥) رقم ٣٢٣١ و مسلم (٣/ ١٤٢٠) رقم ١٧٩٥

وفي أحد لما شجوا وجهه وعقبه الشريفين فقال" اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "(١)

وقد يتمسك بعض المتشددين بقوله تعالى ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وفهموا أن الذين ظلموا لا يسلك معهم سبيل الحكمة ولاطريق الرحمة. وكذلك فهموا من قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] وهذا فهم خاطيء بعيد عن تفسير السلف فقد روي عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْحَرْبِ وَمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، يَقُولُ: جَاهِدُوهُمْ بِالسَّيْفِ . (٢) وهي رواية رواها الطبري عن سعيد بن المسيب (٣)

ورجح الطبري قولا وسطا فقال: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: عني بقوله ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب. (٤) ووافقه الرازي وكثيرون (٥)

ومن هنا فلا يجوز مجابهة الناس في الدعوة ولا مقاتلة المخالفين، فإنها حينئذ تكون فتنة عظيمة ، إما أن تؤدي إلى قتل الداعية نفسه أو لفتنة داخل الدولة نفسها بتقاتل فئتين مع بعضهما أو بمحاربة الدولة نفسها، وهذا يؤدي إلى انعدام الأمن والأمان وانتشار الفوضى في البلد، وهذا هو الخراب بعينه، أو إلى حرب بين دولتين، وهذا خراب أشد وفوضى أخطر .

---

(١) تقدم تخريجه في المبحث الأول من الفصل الأول

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٥٣٦)

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧)

(٤) المرجع السابق (٢٠/ ٤٨)

(٥) تفسير الرازي (١٠/ ١٢٤) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠٦٩) رقم ١٧٣٥٧ تفسير الماوردي (٤/ ٢٨٦) تفسير البغوي (٦/ ٢٤٧) تفسير ابن عطية (٤/ ٣٢٠)

وكل ما يجري اليوم في المنطقة العربية والإسلامية أسبابه الخطأ في الدعوة، حيث اعتبر الدعاة أنفسهم مقاتلين يفرضون رأيهم بقوة السلاح، واستغلوا انشغال الحكام عنهم أو جهل العقلاء بعواقب الأمور ، فقامت الفتنة أولا بين التيارات المختلفة ثم تطورت الأمور فقوي أحد التيارات على الآخرين ففرض وجوده، ثم صدر مذهبه لدول أخرى، وما لبثت البلاد أن انتشرت فيها الفوضى الدينية والفكرية وكانت النتيجة حتمية ان قامت الحروب بين الدول الإسلامية، وسواء كان هذا بتغذية الأعداء أو بجهلنا فالنتيجة واحدة .

وهي ما نعيشه اليوم بكل الدمار الذي طال المنطقة، بل أقول إن الدمار لحق العالم كله ، وأصبحنا اليوم نعيش أسوأ ظروف مرت علينا في التاريخ كله.

المبحث الثالث

بيان أسلوب الموعظة في هذه القصة

أسلوب الموعظة يختلط مع أسلوب الدعوة، ولكن الموعظة لها مجال آخر تعلم منه كل العلماء الذين عملوا في مجال الوعظ والإرشاد أو العلماء الذين كتبوا في ذلك، فالوعظ يعتمد في أسلوبه على ثلاثة أشياء بأضدادها، ثابتة لا تتغير هي الحياة والموت، والثواب والعقاب، والجنة والنار ، وهذه الأشياء هي التي ذكرها الله تعالى في قصة مؤمن آل فرعون .

أولا: الحياة والموت . أما الحياة فقد ذكرها الله تعالى بقوله ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ [غافر: ٣٩] يذكرهم بأن هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، وأنها فانية توشك على الانقضاء والانتهاء والذهاب عن قريب، وأننا لن نأخذ منها شيئا كما لم يأخذ منها السابقون من الجبابرة والمعاندين وأتباعهم، (١)

ثم قال ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: ٢٩] أي: ذكرهم بنعيم الدنيا وأنهم يجب أن يطيعوا الله ويحمدوه على ما أنعم به عليهم، قبل أن يحل بأس الله وهو الموت على غضب الله ومعصيته، فإن المعاند هو الذي لا يستحق رحمة الله في الدنيا.

ثم ذكرهم بما حل بالأمم السابقة وأن عنادهم ووقوفهم ضد الأنبياء ورسالة السماء لن يجدي نفعا ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَاد ﴾ [غافر: ٣٠، ٣١] (٢)

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٣٨٩) تفسير الماتريدي (٩/ ٣١) تفسير البغوي (٧/ ١٤٩) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٤)

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٠) تفسير البيضاوي (٥/ ٥٦) البحر المحيط لأبي حيان (٩/ ٢٥٤)

وبين لهم أن الصراع بين الحق والباطل نتيجته انتصار الحق مهما علا دخان الباطل وارتفع زبده، وأن النجاة مع الحق :

﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ* تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ* لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ* فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤١ – ٤٤] (١)

واختار هنا اسمين من أسماء الله تعالى (العزيز والغفار) وبدأ بالعزيز ليبين لهم أنه لا شيء يمتنع على الله، وأنه لا مهرب منه، فإذا استسلمنا له ولجأنا إليه فهو غفار يغفر ما قد كان. وقد بين لهم عجب حاله وحالهم كيف يريد لهم الخير والنجاة وهم يتقحمون في النار .

ومثل هذا قوله صلى الله عليه وسلم " إِنَّمَا مثلي وَمثل النَّاس كَمثل رجل استوقد نَارا، فَلَمَّا أَضَاءَت مَا حوله جعل الْفراش وهذي الدَّوَابّ الَّتِي تقع فِي النَّار تقع فِيهَا، فَجعل ينزعهن ويغلبنه، فيقتحمن فِيهَا وَأَنا آخذ بِحُجزِكُمْ عَن النَّار وهم يقتحمون فِيهَا "(٢)

ثانيا: الثواب والعقاب. فالواعظ صاحب الموعظة الحسنة مهمته بيان ثواب الله على الطاعة وعقابه على المعصية، دون دخول في الخلافيات، وهذا ما صرح به مؤمن آل فرعون:

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠] (٣) يبين لهم عظيم كرم الله في المعاملة، فالسيئة الواحدة بمثلها – ولم يذكر الحسنة الواحدة وأنها بعشر

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان(٩/ ٢٢٦) التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٤) تفسير القرطبي (١٤/ ١٢٢)

(٢) أخرجه الطيالسى (ص ٢٤٦ ، رقم ١٧٨٤) ، وأحمد (٣٩٢/٣ ، رقم ١٥٢٥٠) والبخاري (٣٤٢٦)، ومسلم (٢٢٨٤)، والترمذي (٢٨٧٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٧١٤) تفسير الطبري (٢١/ ٣٩٠) تفسير الماتريدي (٩/ ٣١) تفسير القشيري (٣/ ٣٠٧)

أمثالها لأنها خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم – (١) وإنما ذكر مجمل العمل الصالح مشروطا بالإيمان فإنه يدخل صاحبه الجنة بلا حساب .

وقضية الثواب والعقاب شيء مهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحتسب المسلم كل عمل لله رجاء ثوابه، ويبتعد عن الذنوب والخطايا قدر إمكانه خوفا من عقابه، ولا يؤذي أحدا لأنه معصية لله، وكذا الشرع عندما يكون له الحكم يكافيء المحسن وينشر إحسانه، ويعاقب المجرم ويضرب على يده، لكي يأمن الناس على دمائهم وأموالهم، فمن أمن العقوبة أساء الأدب .

الثالث: الجنة والنار . وهذا صحيح أنه من أركان الإيمان ومرتبط بالعقيدة لكنه شيء مسلم به في كثير من العقائد والديانات، فيورد الواعظ شيئا عن أخبار الجنة والنار، وقد بين مؤمن آل فرعون شيئا من أخبار الجنة والنار : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣] (٢)

وتعبيره عن يوم القيامة بيوم التناد تعبير أكثر من رائع، لأنه يشمل كثيرا من مواقف المحشر والنار ، والتعبير عن يوم الحشر ب (يوم تولون مدبرين) يزيد في التعبير روعة، حيث يصور لنا الخوف المتناهي من الكفرة الذين يفرون لا إلى مكان معين فلا يجدون من يخلصهم، كما تقدم معنا الحديث الطويل في التمهيد، ولكن نهاية القصة محزنة جدا لأنهم لم يؤمنوا واستمروا في العناد إلى آخر مداه ، فلم تقنعهم المعجزات التسع حتى آخرها:

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٥، ١٣٦] (٣)

---

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي (١/ ٣٥٥)

(٢) تفسير الطبري (١٨/ ٥٥٨) تفسير ابن عطية (٤/ ٥٥٨) تفسير البغوي (٧/ ١٤٨)

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٩) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥١) تفسير البيضاوي (٣/ ٣١)

ولم يرضوا حتى بإرسال بني إسرائيل معه، وأعلن فرعون النفير العام:

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ *فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ*فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ* فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٣ – ٦٦]

وكذلك في نهاية القصة يعبر عنها في سورة غافر ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦] (١)

أي نهابة هذه ؟ عذاب في الدنيا إلى أن تقوم الساعة ! ثم بعد ذلك ماذا؟ أشد العذاب .

إنها لقصة مليئة بالعظات والعبر والتاريخ المسجل المؤكد الذي سجل في كتاب لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه، كلمات لا تنسى وآيات لا تبلى وكتاب باق ما بقي الجبار العظيم .

اللهم بفضلك اجعلنا مؤمنين مستسلمين ولا تجعلنا من المتكبرين المعاندين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) تفسير عبد الرزاق (٣/ ١٤٥) رقم ٢٦٨٠ معاني القرآن للأخفش (٢/ ٥٠١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٥)

الخاتمة

بعد أن انتهينا من هذا البحث الذي اشتمل على قصة مؤمن آل فرعون، وهي من أحسن القصص ، مليئة بالعبر ، تستحق أن يكتب فيها مجلدات عديدة ، وكل ما كتبناه ما هو إلا غيض من فيض، وإشارات إلى مكان العظمة وموطن الروعة، ونرفع أيدينا مستسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم " لَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (١)

ومهما يكن من قول فإنني وجدت في هذه القصة

١- إشارة إلى أصل القصة نفسها باختصار واضح غير مخل

٢- عرضٌ أكثر من رائع لقصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر والتي تسمى باسمه (سورة مؤمن)

٣- تعليم للعلماء والفصحاء كيف يكون الحوار الهادىء القوي

٤- تعليم للعلماء كيف تكون المواقف وكيف يكون العالم المجاهد بكلمة الحق

٥- لا يقتصر الجهاد على السيف بل جهاد الكلمة المناسبة في مكانها المناسب أفضل من الجيوش الجرارة

٦- هذه القصة دستور دعوة تعلم الداعية كيف يختار المواقف

٧- هذه القصة تكمن فيها قواعد التربية من أبسط العلوم إلى قصور الملوك كيف تدار سياسة الخلق بالعلم والأخلاق .

٨- هذه القصة ترينا قدرة الله وإرادته وأنه لا أحد يستطيع مغالبة القدرة الإلهية .

٩- هذه القصة تغصب المتدبر أن يقرأها بتأنٍ وتمعن

١٠- هذه القصة تبين معالي البلاغة وقمة التعبير

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٥) رقم ٣٠٠٠٧ والدارمي (٤/ ٢٠٩٨) رقم ٣٣٧٤ والترمذي (٥/ ٢٢) رقم ٢٩٠٦

١١- هذه القصة تجمع علوم الدنيا والآخرة

١٢- هذه القصة ترينا كيف تكون نهاية كل من يخالف قانون المنهج الإلهي الذي كفل الأمن والأمان لكل البشر . وأن فضل منهج يصلح للإنسانية كلها في كل زمان ومكان .

١٣- أن عذاب القبر ثابت يجب أن نعتقد أن الكافر يعذب في قبره في الدنيا ولكن حجب الله عنا رؤية ذلك لكي تسير الحياة .

التوصيات

أولا: أوصي كل عالم أن يعيد قراءة هذه القصة ألف مرة ثم يبين معانيها للشباب ألف ألف مرة حتى لا يتهوروا ويوقعوا الأمة في حروب مدمرة لا يستفيدون منها شيئا إلا فقدان الأمن والأمان لنا ولنسائنا وأطفالنا .

ثانيا: أوصي الجامعات الإسلامية أن يكلفوا الباحثين في الكتابة في هذه القصة . فهي تحتمل رسائل في الماجستير و الدكتوراة.

ثالثا:أوصي شباب الأمة أن يقفوا وراء العلماء المخلصين ولا يتقدموا عليهم فالحياة علم وخبرة .

رابعا: أون يتدبر كتاب ربه ففيه غذاء الروح والعقل. وفيه حل لجميع مشاكل الحياة

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين

فهارس المصادر

١- أخلاق العلماء للآجري: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري .ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية

٢- الآداب للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) اعتنى به وعلق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه .ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: علي محمد البجاوي .ط: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٤- أسد الغابة لابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود . ط : دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م

٥- أصول الدين للغزنوي: جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي (المتوفى: ٥٩٣هـ) المحقق: الدكتور عمر وفيق الداعوق . ط : دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ - ١٩٩٨

٦- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي : سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ) ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٧- الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني . ط : مكتبة أضواء المنار – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٨- البحر المحيط لأبي حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل . ط : دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٩- البحر المديد لابن عجيبة : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان . ط : الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة .الطبعة: ١٤١٩ هـ

١٠- البدر المنير لابن الملقن : سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ) المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال . ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض–السعودية – الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

١١- التاريخ الكبير للبخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) طبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن .طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان

١٢- تاريخ بغداد للخطيب : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف . الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

١٣- تاريخ دمشق لابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي . ط : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .عام ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

١٤- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري : يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى ٤٩٩ هـ) رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: ٦١٠هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل . ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط : الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١٥- تفسير ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) تحقيق مجموعة . ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

١٦- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد . ط: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٧- تفسير ابن فورك: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ) تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) ط : جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م

١٨- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة . ط : دار طيبة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

١٩- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) تحقيق جماعة . ط: دار طيبة . الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٢٠- تفسير البيضاوي(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط : دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢١- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) : أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي .ط : دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٢٢- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٢٣- تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ط: دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

٢٤- تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي . تحقيق: د.محمود مطرجي . ط : دار الفكر – بيروت

٢٥- تفسير السمعاني : أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم . ط : دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

٢٦- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط : دار هجر . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٢٧- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . ط : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٢٨- تفسير القشيري(لطائف الإشارات) : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني. ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر . الطبعة: الثالثة

٢٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) : محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم. ط : دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٣٠- تفسير الماوردي(النكت والعيون) : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ط : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٣١- تفسير عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) ط : دار الكتب العلمية .تحقيق: د. محمود محمد عبده الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ

٣٢- تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل. ط : دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر . الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

٣٣- تفسير مقاتل : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ)

المحقق: عبد الله محمود شحاته. ط : دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ

٣٤- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : يوسف بن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣ . ط : المطبعة المنيرية القاهرة و دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ .

٣٥- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لقوام السنة : إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ) المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي. ط : دار الراية – السعودية / الرياض .الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٣٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) ط: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٣٧- خلق أفعال العباد للبخاري : محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى : ٢٥٦ هـ .المحقق : فهد بن سليمان الفهيد . ط : دار أطلس الخضراء . الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٥ هـ

٣٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط . ط : دار القلم، دمشق

٣٩- الدر المنثور في التفسير بالماثور للسيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: (٩١١هـ) تحقيق: مركز هجر للبحوث. ط : دار هجر القاهرة سنة١٤٢٤ هـ

٤٠- الدعاء للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا. ط : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣

٤١- الرد على الجهمية للدارمي : أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ) المحقق: بدر بن عبد الله البدر . ط : دار ابن الأثير - الكويت الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٤٢- روح البيان : إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ط : دار الفكر - بيروت

٤٣- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي. ط : دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٤٤- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٤٥- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر . ط : مصطفى الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤٦- سنن الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) المحقق: نبيل هاشم الغمري . ط : دار البشائر (بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

٤٧- السنن الكبرى للبيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤٨- سير أعلام النبلاء للذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

٤٩- شعب الإيمان للبيهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد .ط : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند .الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

٥٠- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط . ط: مؤسسة الرسالة، بيروت .

الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٥١- صحيح البخاري . تحقيق : د. مصطفى ديب البغا . ط : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

٥٢- صحيح مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت

٥٣- الطبقات الكبرى لابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م

٥٤- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: ٨٤٠هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط . ط : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م

٥٥- الفصول في الأصول للجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) ط: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م

٥٦- فضائل الخلفاء لأبي نعيم : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) تحقيق: صالح بن محمد العقيل. ط : دار البخاري بالمدينة المنورة . الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٥٧- فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: د. وصي الله محمد عباس . ط : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣

٥٨- فوائد تمام : أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ) المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي. ط : مكتبة الرشد – الرياض. الطبعة: الأولى، ١٤١٢

٥٩- المجالسة وجواهر العلم للدينوري: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي المتوفى سنة : ٣٣٣هـ المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ط : جمعية التربية الإسلامية (البحرين) ، دار ابن حزم (بيروت – لبنان) سنة ١٤١٩هـ

٦٠- المحنة على الإمام أحمد لعبد الغني المقدسي: : عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين. المتوفى: ٦٠٠هـ المحقق: أحمد فريد المزيدي . ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

٦١- المستدرك للحاكم : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٦٢- مسند ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي. ط : دار الوطن – الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م

٦٣- مسند أبي حنيفة : أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ) رواية الحصكفي . تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود . ط : الآداب – مصر

٦٤- مسند أبي يعلى الموصلي : أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ) المحقق: حسين سليم أسد . ط : دار المأمون للتراث – دمشق .الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤

٦٥- مسند أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط : مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٦٦- مسند إسحاق بن راهويه المتوفى : ٢٣٨ هـ . المحقق : عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي . ط : مكتبة الإيمان – المدينة المنورة. الطبعة : الأولى ، ١٩٩١ م

٦٧- مسند البزار (البحر الزخار) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ) تحقيق مجموعة. ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة . الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

٦٨- مسند الطيالسي : أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ط : دار المعرفة – بيروت

٦٩- مسند الفردوس للديلمى (الفردوس بمأثور الخطاب للديلمى: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ) المحقق: السعيد بسيوني زغلول. ط : دار الكتب العلمية بيروت.الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م

٧٠- مسند عبد بن حميد (المنتخب من مسند عبد بن حميد) أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ) المحقق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي . ط: مكتبة السنة القاهرة. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨

٧١- مصنف ابن أبي شيبة : أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

٧٢- مصنف عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط : المجلس العلمي- الهند الطبعة: الثانية، ١٤٠٣

٧٣- معالم أصول الدين للرازي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد . ط : دار الكتاب العربي – لبنان

٧٤- معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) بدون بيانات .

٧٥- معاني القرآن وإعرابه للزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي .ط : عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٧٦- المعجم الأوسط للطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مجموعة. ط: دار الحرمين – القاهرة

٧٧- معجم الصحابة للبغوي : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ) المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني .ط: مكتبة دار البيان – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٧٨- المعجم الكبير للطبراني .تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط : مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)

٧٩- معرفة الصحابة لأبي نعيم : أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى : ٤٣٠هـ) تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ط : دار الوطن للنشر – الرياض الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٨٠- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط : دار هجر . الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ هـ

٨١- مناقب علي لابن المغازلي (مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه) : علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (المتوفى: ٤٨٣هـ) المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي .ط: دار الآثار – صنعاء . الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٨٢- منتهى السول لابن الحاجب : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ) المحقق: حسن أحمد العثمان. ط: المكتبة المكية – مكة الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م

٨٣- المنخول (المنخول من تعليقات الأصول) للغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) حققه: الدكتور محمد حسن هيتو .ط : دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، دار الفكر دمشق – سورية الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٨٤- نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي .ط: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

٨٥- نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي : محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي المتوفى: نحو ٣٢٠ هـ. تحقيق: عبد الرحمن عميرة ط: دار الجيل – بيروت

٨٦- الهداية الى بلوغ النهاية للقيرواني: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)
المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي .ط: جامعة الشارقة. الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٨٧- الوسيط للواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: مجموعة . ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م